مقالـــة

مقنعة السائل عن المرض الهائل

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي

المتوفى سنة 776هـ/ 1374م

تحقيق و تقديم

حياة قـارة

دار الأمان

الرباط

مقالة

مُقنعة السَّائل عن المَرض الهَائل

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السَّلْمَاني الغرناطي

المتوفى سنة 776 هـ / 1374م

تحقيق وتقديم

حياة قارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : مقنعة السائل عن المرض الهائل

المؤلف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي

الناشر : منشورات دار الأمان

العنوان : 4، زنقة المامونية - الرباط

الهاتف : 05 37 72 32 76

الفاكس : 05 37 20 00 55

البريد الإلكتروني : E-mail : libdarelamane@yahoo.fr

الطبعة الأولى : 1436هـ - 2015م

الايداع القانوني : 2015 MO 0822

ردمك : 978-9954-638-23-1

المطبعة : مطبعة الكرامة - الرباط

بسم الله الرحمان الرحيم

قال أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي حِجْلة التلمساني المتوفى سنة 776هـ في رسالة إلى الوزير أبي عبد الله بن الخطيب[1]: «ومن رسالة إلى الوزير أبي عبد الله بن الخطيب: وزير صاحب الأندلس ووصل قرينه ما تصدَّق به من الذَّهب الذي لاح في الشمس كالميزان، وجمع بين خِفَّة الرُوح وثقالة الجثمان، فاستغنى بصوته عن المطرب، وكاد يفتن بطلوع شمسه من المغرب، فحلَّ من داره محلَّ الشمس من دائرة الحَمَل، وطاب به الوقتُ واعتدل، ودخل جَنَّة إحسانِه على ما كان من عمل وحسن رياشه، ولا ينكر حُسْنَ الرياش للمجلِّ، ولم يبق من كِنَانَة إلاّ من عليها نَضارة النضار، وأصبحت بسوارها اليمين من دورات اليسار، فنالت بغير طلب غرضها المطلوب، ورأت من حجالها بمصر حلى بني يعقوب».

(1) منطق الطير مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 1910 (غير مرقم)

بين يدي المقالة:

ابن الخطيب طبيباً

إن دراسة شخصية أبي عبد الله محمد بن سعيد بن عبد الله بن علي بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ، وحياته، وجهوده العلمية، وقيمتها، قد استوفيت في دراسات متعلقة به، أو في تحقيقات كثيرة لتواليفه، مما لا نحتاج إلى تكرار القول فيه.

على أن الذي يهمني في تصدير هذه المقالة، هو التنبيه على شخصيته الطبية، مع العلم أنه كان موسوعياً ألف في مختلف أصناف المعرفة، مثل: الأدب، والتاريخ، والتراجم، والسير، والطب، والبيطرة، والبيزرة، والموسيقى.

لقد أخذ الطب والتعاليم عن الإمام أبي زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي[1]، واختصَّ بصحبته، ولازمه إلى آخر حياته[2]، حتى مات في سنة 753 هـ، ودَفنهُ بباب إلبيرة حذاءَ حَليلته كما عَهد[3].

ويعتبر ابن الخطيب أكثر تلامذة ابن هذيل ملازمة له وأوثقهم التصاقاً به، وأوسعهم رواية عنه، ونجد أمثلة متعددة من هذه الرواية في إحاطة ابن الخطيب.

وقد وصف شيخه بأنه خاتمة العلماء بالأندلس، وآخر حَمَلة الفنون

1) ترجمته في الإحاطة 4/390-401.
2) المصدر السابق 4/ 459.
3) المصدر السابق 4/401.

العقلية ((من طبّ وهندسة، وهيئة، وحساب، وأصول، وأدب))[1].

وقد سرد ابن الخطيب تآليف شيخه الطبية، فقال: ((وله تصانيف وأوضاع، منها: كتابه المسمى بـ: ((الاختيار والاعتبار في الطب))، وكتابه المسمى بـ ((التذكرة في الطب))، ولا نعرف عنهما شيئا، ومن أهم كتبه التي ظفرنا بها كتابه ((تكملة الأغراض في مزاولة الأمراض))، وهو مخطوط في خزانة الحاج الهادي السودي القرشي بفاس، وتقع في 117 ورقة، وقد كتبه عبد الله بن علي بن موسى بن محمد التملي بأواسط جمادى الأولى عام 1062هـ.

وفي آخره ينصُّ النّاسخ أن ابنَ الخطيب قابل نسخته مع مُبَيَّضَة شيخه، قال التمْلي: ((وقال في المنتسخ منه هذا: نسخته من نُسخَة نُسِخَت من نُسخَة قائلها الشيخ الإمام المتفَنِّن في العلوم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب مع شيخه مؤلف الديوان المذكور، وهو ممسكٌ مُبَيَّضَتَهُ بيده، فصحَّ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله)).

وقد لفت نظري في خطبة هذا الكتاب، أن ابن هذيل يستعمل كلمة في حق تلميذه ابن الخطيب: ((بعض أصحابي))،ويحدثناعن ذلك، فيقول: ((ولشدَّة ضنانتي بهذا التأليف لم أطلع عليه أحداً إلاَّ بعض أصحابي، فطمعوا فيه، فأبيت من ذلك، فربما أظهروا لي العداوة على منعه، وتركته مُفرَّقاً في مُبَيَّضَات بُخلاً منّي أن لا يكتبه أحدٌ في حياتي)).

ولم يتفرغ ابن الخطيب لممارسة الطبّ تفرُّغاً تاماً؛ إذ كان مشغولا بأمور

1) الإحاطة 4 /390.

الدولة عندما تحمل أعباء الوزارة، إلا أنه يمكننا أن نؤكد بأن عنايته بالتأليف في مجال الطب كانت كبيرة، ويمكن في هذا المجال ذكر تصانيفه في صنف الطب، وهي عشرة، كما وردت في الإحاطة[1]، في ترجمة المؤلف نفسه، أو كما وردت في نفح الطيب[2]، وهي كما يلي:

1 – **مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل**: وهي رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749هـ، ذكر فيها أعراض ظهوره، وطرق الوقاية منه، وسنتحدث عنها فيما بعد.

2 – **المسائل الطبية**: في سفر.

3 – **اليوسفي في صناعة الطب**: في سفرين كبيرين، قال عنه المقري: «كتاب ممتع»[3].

4 – **مقالة في أحوال الجنين عند التكوين**: ذكرها ابن الخطيب في كتابه: «الوصول لحفظ الصِّحة في الفصول»، وقال: «ولها في أحوال الجنين عند التكوين عجائب قد أودعناها مقالة مُفردَة»[4].

5 – **الرَّجز في عمل التِّرياق الفاروقي**.

6 – **رجز الطِّبّ**[5]، قال المقري: «وهي الأرجوزة المسماة بـ «المعلومة»

1) 4 /459 – 462
2) 7/ 98 – 101 .
3) نفح الطيب 7/ 98.
4) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77 ص 63.
5) توجد مخطوطة منه في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 515، والخزانة العامة بالرباط رقم 323 ق ضمن مجموع (ص 150 – 246).

معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة في العلاج من الرأس إلى القدم، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي كملت بها الصناعة كمالاً لا يشبه نقص» [1]، وتقع في نحو ألف وستمائة بيت، وتتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية والجزئية.

7 – رجز الأغذية، وهي الأرجوزة المسماة بـ «المعتمدة في الأغذية المفردة» [2]، وتقع في نحو ألف ومائتي بيت، وتتضمن ذكر الأغذية، مرتبة على حروف المعجم، وطبعائها ومنافعها، ومضارها، وإصلاح خللها.

توجد نسخة منها في خزانة الأستاذ محمد العابد الفاسي، كتبت في أول رمضان عام 1133هـ.

8 – **الوُصُول لحفظ الصّحة في الفُصُول**[3]: أهداه إلى أمير المسلمين سلطان مملكة غرناطة أبي عبد الله محمد الغني بالله بن أبي الحجاج بن أبي الوليد بن نصر (755 – 793هـ)[4]، وقد فرغ من تأليفه في الثاني عشر من جمادى الأولى عام أحد وسبعمائة بغرناطة المحروسة[5]، يقع في جزءين: جزء التعريف، ويعالج فيه الجانب النظري، وجزء التصريف، ويعالج فيه الجانب العملي في الوقاية وحفظ الصحة.

---

1) نفح الطيب 7/ 98 – 99.
2) نفح الطيب 7/ 99.
3) توجد نسخ خطية كثيرة منه، ففي الخزانة الحسنية بالرباط أربع نسخ: 77 – 590 –797– 979.
4) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77 ص 14.
5) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77 ص 287.

9 – عَمَلُ مَن طَبَّ لمن حَبَّ[1]: قال المقري: ((ومنزلته في الصناعة الطبية بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية، لا نظير له))[2].

ألَّفه برسم سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن المريني، يتألف من جزءين: الأول، في الأمراض من الرأس إلى القدم، والثاني، في الأمراض التي تعمّ البدن كله، ولا تختص بعضو معيَّن، بالإضافة إلى حديثه عن الزينة والسموم.

وقد طبع هذا الكتاب مع بيان المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية، بتحقيق المستعربة الإسبانية ماريا كنثيثيون فاثكز بنيتو، وصدر عن جامعة سلمنكة سنة 1972.

10 – كتاب في علاج السموم.

وفضلا عن انشغال ابن الخطيب بالتأليف في الطب، ووظيفته كطبيب في دار الإمارة، فإنه كان في وقت ما يعنى بمعالجة المرضى، كما يخبرنا أبو عبد الله الشقوري في كتابه: ((تحفة المتوسِّل وراحة المتأمِّل))[3]، يقول:

((حكى علمُ العلماء وتاج الرؤساء البلغاء، وكبير مهرة الأطبَّاء سيدي أبو عبد الله ابن الخطيب، أنه كان ذات يوم جالساً ومعه بعض وجوه الناس، وهو إذاك ينظر في الطب، فشكا إليه مريضٌ وَجَعاًوتقطيعاً ولَذْعاً تحت السرَّة، وأنه يبول دماً عبيطاً، فسأله كم له بذلك؟ فأخبر أنه منذ زمان يسير، فحدس

1) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 3477 ورقم 4777.
2) نفح الطيب 7/ 98.
3) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 2337.

بذكاء فطنته وجودة عقله، وحسن إدراكه أن ذلك من حيوان سُمِّي خاصَّته ذلك، فقال له: ما صناعتك؟ فقال له: أخدم في الفَحص، فقال له: وفيما تشرب، قال: في قَرْعة، فأمره بكسرها، فوجد فيها ذَراريح قد تفسَّخت، وهذه خاصة هذا الحيوان: الإضرار بالمثانة يُقرِحها فيبول الدم، ولذلك يُخلَطُ منها اليسير جداً في أدوية الحَصَى، لتنفذ بها بسرعة وتُوصلها قبل أن تغيّر الطباع تلك الأدوية فتضعف قواها لطول المسافة... ثم إنه بادر لعلاجه بعلاج ألصق صنعاً، وأغرب نوعاً فكانت الراحة ».

ولابن الخطيب مُخَاطبة صَدرت عنه إلى طبيب الدار السلطانية نجلبُ نصها هنا[1]:

«وَصَلَ الله توفيقكم وأنهجَ إلى مقرِّ الانتفاع طريقكم، أُسلِّمُ عليكم، وأُقرِّرُ أسباب الودِّ لديكم، وأعرِّفكم أني لتشيُّعي بذلك المقام السلطاني أعزّه الله، وألبسَ الإسلام أثواب الجَذلِ والحبور باتصال عافيته.

وإن كنتُ بعيداً عن مباشرة الأحوال، فإني أستطلعُ ما يهمُّني من أجله بالسؤال، ولا أحتشم أن أبذل له نصحاً، وأعيِّن لنفسي فيما ينفعه حظاً، فتعرَّفتُ أنَّه في هذه الأيام شكا، والنفسُ فداؤه، دَماميلَ وخُرَاجاتٍ، وما لا ينكر حدوثهُ في سنِّ الشبيبة، مع ما تعرَّفْتُهُ من لطافة تركيبه، ورهافَةِ بنيته، ورقَّة أخْلاطه، فحَدَسْتُ أن من يعنى بأمره من الخُدَّام، ويحرص على تخصيب بدنه، وإنهاض نشأته، يوردُ على بدنه من الغذاء فوق ما تفي به قُوَّة هضومه، فيفْضُلُ من مادَّة الغذاء عن حاجة أعضائه ما تدفعه الطبيعة بإذن الله إلى ظاهر البدن

1) الوصول لحفظ الصحة في الفصول (مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77) ص 90 – 93، وهذه الرسالة لم تعلق بها يد أحدٍ من قبل.

لقوّتها واضطلاعها، والحمد لله، لكن يتوفر الخَدَرُ أن تَمنعها مانعٌ لا يُتوصَّل إلى معرفته من تمام دفعه إلى الظاهر، فتكون غائلته في الباطن. وفي علمكم أن الحيوان بما هو به ذو أرواح تتعلق أو تغتذى من رطوبات في وعاءٍ هو البدن مدة الحياة بما اقتضته حكمة العليم الحكيم لا إله إلاَّ هو أشبه بشيءٍ بالسِّراج، فالروحُ نورُه، والخزف والزجاج والفتيلة أعضاؤه المختلفة، والزيت رطوباته التي تغدو إلى الروح بواسطة الفتيل، وتمنع الخزف من الاحتراق. وإن كل سراجٍ يوجب أن يورد عليه من الدُّهن بمقدار شكله وجِرْمه وفتيله، بحيث لا ينقصُ بل عن فتيلة، وترطيب خزفه، وإمداد نوره، ويوقف عند الحدّ الذي هو بالحال الموصُوفة الغذاء الذي يليق به في الكمّ والكيف، وخلي ما بينه وبين الطّباع حفظت عليه بإذن الله مزاجه الشخصيّ، إلى أن ينتقل المزاج في أطوار النشأة المعروفة بحسب الأسنان، ويبرز ما في قوَّته إلى الفعل وادعاً من غير تكليف، فانظروا في هذا واحدُ وأَحَد وما يخفّ على الطِّباع، ولا تُثقلوا عليها بما فوق الحاجة، واذهبوا إلى الأغذية المعتدلة، وميلوا بها إلى التبريد والترطيب، وإن شعرتم باحتراق الأغذية الدقيقة من الأمراق ومثلها، والإحساس بتخليلها، فاقتصروا على التغليط، واعلموا أنَّ كثيرا من الأطباء، حسبما أدركت بعمري، غلطوا في نسبتهم حُمْضة الأغذية وتخليلها في المعدة إلى البرد مطلقاً، فَعَالَجُوا ذلك بأدوية حارّة، فأهلكوا الناس، ولم يعلموا أنَّ التخليل كثيراً ما يقعُ من الحرِّ، كما يحدث للعصارات والأشربة الدقيقة واللّبن في فصل الصيف، فَلاَحِظُوا هذا ولا تُهملوه، وامنعوا الفواكه الكثيرة الاستحالة إلى المرار، وما يتخذ من العُسُول جملة، لاسيما في الفصول المزهّدة في ذلك، ورفِّهُوا عن تأثيرات الأعراض النفسانية، وأشيروا بالرياضة المعتدلة، وأَبْلِغُوا نَصِيحتي هذه من يجب فيها،

يحصل استمتاعهم به بمشيئة الله الذي جعل لكلٍّ شيءٍ قَدْرا، ورتَّبَ له سببا. والسلام » .

وقد مرض ابن الخطيب مرَّة، وأصابه السَّهر، فأعاده السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله النصري، فقال[1]:

«وهو: أن السلطان سألني عن حقيقة السَّهَر لمَّا مرضتُ وأصابني السَّهر، وتردَّدتْ زيارة السلطان، أعزَّهُ اللهُ إيَّاي، وكان يَعرضُ لي كلما رُمت الغمض أو قاربته، ضَرَبانٌ في قلبي يُسرع له نَبْضي ويتبعهُ القَلَقُ الذي تَسُوءُ معه حالي.

فقلتُ على عادتي في بيانِ الأمور الغامضة له بالمُثُل بما قضاهُ حسنُ استماعه، وصحة تمييزه وفضْل حِرصه على كماله.

اعلم أن جملة الإنسان حسبما تقرر في محلِّه مملكة مستقلة بذاتها. مَلِكُها القلبُ، ونائبهُ القوةُ المزيدةُ في مَعْقِله ومَحلُّ خزائنه، وهو الدِّماغ، والقوة الحافظة خازنَةٌ، وقوةُ الخيال مُنْهَى الأخبار إليه، ورافعها إلى دَسْتِه، والحواسُّ الخمسُ جُندُه الذين اقتسموا حراسةَ جهات المملكة، ونواحي أقطار العمالة، وقعدوا لما يطرق العمالة وهي الجسد، من كل جهة يمكن يُطْرَقُ منها، والقوى الطبيعية التي في الكبد خدمة المطبخ، وولاة الأرزاق، ومقدِّرو النفقات، فمتى وردَ على طرف من أطراف العمالة المذكورة واردٌ مُؤلِمٌ كان أو ملِذٌ، تَلقَّاهُ الحارسُ الذي يلي طريقه من أصناف جُندِ الحواس الخمس بصراً، أو سمعاً، أو شماً، أو ذوقاً، أو لمساً، صاح به وأنذر بوروده، ووجَّه بَريد الحس يعرف به، فصار على مسلك التَّعريف وهو العصب، طريق الكُلّ إلى قلعة السلطان، فعرَّف

1) الوصول لحفظ الصحة في الفصول (مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77) ص 138-141.

بالوُرَّاد صاحب الأخبار ومُتَوَلِّيها وهو الحسُّ المشترك، فقرَّر الأمر بعد أن يفصِّله الكاتب وهو الخيال ويُهيِّئه إلى قبول الوزير، وهي القوة المفكِّرة بعد أن يُنهي ذلك إلى الملك، وهو الروح الذي في القلب، فإن كان ذلك الأمرُ الواردُ الذي يُعرِّف به ممَّا يقتضي التَّراخي والأرجاء والاستخزان، دُفع إلى خازن الحفظ، فيودِعُهُ خزانة القوة الحافظة، فإذا احتيج إليه يوماً ما طلب خديم خزانة الحفظ، وهي قوَّة الذِّكر بإحضاره، فاستحضرته القوَّةُ الذاكرة، وإن كان موجباً لتعجيل الحركة وإمضاء الحكم، وكان مما يُعْمَل فيه النظر، ويُلتمسُ الرأي، شاور الملك القوَّة المفكرة، إن كان الأمر رَوِيَّةً أو عجلة، إن كان بديهيّة وحرَّك بعد خدام النفرة عنه، أو النزوع بواسطة الإرادة، وحرّكت الإرادة الأعضاء الآلية بواسطة العَضلِ الذي هو واسطةُ الحركات الجِزْمِيَّة، فكان الإقدام على الشيء، والمدافعة له أو الفرار عنه، وطلب النجاة من شرِّه، وربما أعجل الأمر عن الشُّورى إذ أحضر جلِيس القوة المتوهِّمة، وأنفذَ الحكم بديهةَ، وإن فَتُرْ الخبرُ ولاَنَ التعريف أو تَوَانَى بانفِصَال الوَارِد الخبر، أو صحّ بكذب المعرف الأول به التعريف، استصحبت حَالُهُ السكون، مثال ذلك أن يطرق من جهة حُرَّاس السَّمع، صوتٌ وألفاظٌ تدلُّ على معاني كلام من شِعرٍ أو حكمة أو قانون عِلميّ، فيؤديه السمعُ من باب الصماخ إلى عصب الحسّ المشترك، وينظر فيه الخيال ويؤديه إلى قُوَّة الفكر فيتحرَّك فيه مع القلب ثم يستحفظه في مخزن القُوَّة الحافظة، فإن كان المخزن سليماً والخازن أميناً وهو المتَّصفُ بالحال الطبيعية، أدَّاه متى طُلب إلى الخديم، وهي قوَّة الذكر بحاله، لم يختلط بسواه، ولا نقص شيء من كميته، أو كانَ ممَّا يتَّصف بالإخلال، جرى الأمرُ فيه بغير ذلك، وربَّما بحث خديمُ خزانة الحفظ وهو الذكر عن المقدار الذي ضاع فَجَبَره، أو ربما عجز عن جَبْره، أو يطرق

من جهة حارس البَصَر صورة شيء مُقبل يدنو إلى المدينة، فيسرع الإخبار به إلى الخيال على طريق العصب الأجوف، فيفصِّله بأن رأى فيه آلات السِّباع، أو ذوات النُّهُوش والسُّمُوم، أدَّى خبره إلى الملك، وقد حكم بأنه عدو، فحذر محرك الملك قوة النفرة عنه والحذر، إما مستعجلا بالحكم قبل استشارة الوزير بإغراء خديم القُوَّة الوهمية، أو بعد الاستشارة، وبحسب قوة العَدُوّ أو ضعفه، يكون الاهتمام بأمره أو الإلغاء».

تُراث الطّاعون الوبائي أو المرض الوافد[1] في الغرب الإسلامي

1) انظر: المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية ص 37.

لقد صنفنا تراث الطاعون الوبائي ضمن فئتين، بالنظر إلى محتواه ومضمونه .

أما الفئة الأولى ، فيندرج ضمنها التراث الوبائي في سياقه الطبي ـ التاريخي ، ونحدده في التصانيف التالية :

1 – **مقالة في «إذا نزل الوباء بأرض قوم»**، حديث شريف: **لأبي عبد الله** محمد بن يوسف بن عمر بن عمران المزدغي الفاسي المتوفى سنة 655 هـ[1]: ذكر في جذوة الاقتباس 1 /222، ومشاهير أعيان فاس في القديم (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 1394) ص 17، والذيل والتكملة س 8 ق 1 ص 366.

2 – **كتاب في الطاعون**: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صَفوان المالقي المتوفى سنة 763هـ[2].

ذكر في الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية ص 90، وقال عنه أبو عبد الله المواق في المسألة الثالثة: «من المستفيد أيضاً عند كثير منهم أنَّ القطع بُعْدٌ واهٍ لا إشكال فيه ولا توقُف، ومن ترشَّح لمطالعة كلام من بالغ في تقريره من متأخري الخائضين في ذلك، ابن صفوان، وابن خاتمة، وابن الخطيب، قويت

---

1) ترجمته في الذيل والتكملة س8 ق 1 ص 365 – 367

2) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن صفوان، وصفه لسان الدين ابن الخطيب، فقال: صدر من صدور كُتَّاب دولة بني الأحمر، ومشيخة طلبته، ناظم، ناثر، عارف، ثاقب الذهن، قوي الإدراك، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق، ذاكر للتاريخ واللغة، مشارك في الفلسفة والتصوف، من تواليفه: مطلع الأنوار الإلهية، وبغية المستفيد، وكفاية المرتاض في التنبيه على ما أغفله جمهور الفراض (مخطوط بالخزانة الحمزاوية– إقليم الرشيدية رقم 376)، وقد جمع ابن الخطيب ديوان شعره سنة 744 هـ.
مولده سنة 695هـ ووفاته سنة 763هـ).
ترجمته في الإحاطة 1/ 221 – 232، ونثير الجمان ص 131 – 137.

فيه بصيرته، ورسخ في اعتقاده يقينه».

3 – إصلاح النيَّة في المسألة الطاعونية: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن مُشتَمِل الأسلمي البلياني، من أهل المريَّة المتوفى في آخر سنة 764هـ[1].

قال عنه ابن الخطيب: «وله تأليف في الوباء سمَّاه بإصلاح النِّية في المسألة الطاعونية»[2].

4 – تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد: لأبي جعفر أحمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري من أهل المرية المتوفى سنة 770هـ[3].

ذكر ابن خاتمة في خطبة كتابه هذا أنه ألفه تلبية لطلب صديق سأله عن حقيقة هذا الطاعون الظاهر بالمرية، بتاريخ عام تسعة وأربعين وسبعمائة، فأجابه إلى طلبه، يقول: «وبعدُ، فإن بعض أصدقائي ممَّن يتعيَّن عليَّ إسعافهم، ولا يسعني خلافهم، سألوني عن حقيقة هذا الطاعون الظاهر بالمريَّة بتاريخ عام تسعة وأربعين وسبعمائة، والتعريف به بحسب القول الطِّبِّي، وعن سببه العام والخاص، وما بالُه خصَّ قوماً ما دون آخرين على قُرب الجوار، وعن ما ظهر من عَدواه، وكيف التحفُّظُ والاحتراز منه، وما علاجُه إذا نزل، وما جاء عن الشارع فيه صلوات الله وسلامه عليه، وما معنى حديث النهي عن القدوم إلى أرضه، أو الخروج عنها فراراً منه، وما معنى قوله عليه السلام: لا عدوى ولا

1) ترجمته في: الإحاطة 2/ 364 – 367 والكتيبة الكامنة ص 65 – 66 رقم 18.
2) الإحاطة 2/ 365.
3) ترجمته في: الإحاطة 1 / 239 – 259.

طيرة، وكيف الجمعُ بين الحديثين »[1].

وقد رتّب المؤلف كتابه على عشر مسائل:

المسألة الأولى: في حقيقة وباء الطاعون (المعنى اللغوي والطبي– التعريف بالوباء).

المسألة الثانية: في أسباب الوباء القريبة والبعيدة.

المسألة الثالثة: ما بَالُهُ خصَّ قوماً دون آخرين على قرب الجوار.

المسألة الرابعة: ما ظهر من عدواه، (وهي أهم المسائل التي عالجها الكتاب).

المسألة الخامسة: كيف التحفُّظ والاحتزاز منه.

المسألة السادسة: ما علاجه إذا نزل؟

المسألة السابعة: ما جاء عن الشرع فيه.

المسألة الثامنة: ما معنى حديث النهي عن القدوم على أرضه أو الخروج منها.

المسألة التاسعة: ما معنى قوله عليه السلام: « لا عدوى ولا طِيَرَة » ؟.

المسألة العاشرة: كيف الجمع بين الحديثين.

ويتجلى من هذا الترتيب أن قسماً من الكتاب، يهتمّ بالمسائل الطبية البحتة، بينما يبحث القسم الثاني في المسائل الشرعية المترتبة عن القول بالعدوى، وفيه معلومات تاريخية عن عدد من الأوبئة التي ظهرت في أحقاب مختلفة بأماكن من المشرق والأندلس.

---

1) تحصيل غرض القاصد (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 255 ك) ص 2 ومخطوطة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 49 ظ.

منه أربع نسخ خطية:

الأولى: في الخزانة العامة بالرباط رقم كـ 255 ضمن مجموع من (ص 1 إلى ص 58) مبتور من الآخر، كتبت بخط أندلسي على يدي مقيِّدها لنفسه علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري(1).

والثانية: في خزانة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785، ضمن مجموع (من ورقة 49و إلى ورقة 105ظ) وكتبت بخط أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي.

والثالثة: في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم (44 الطب)، وهي نسخة كتبت بخط نسخ واضح، ترجع إلى القرن العاشر للهجرة، وتقع في 43 ورقة، مصورة عن [العمومية –4085 ف 854]

والرابعة: في مكتبة بايزيد بإستانبول، وتقع في 85 ورقة من القطع الصغير، في كل صفحة 21 سطرا.

ومنه نقول في مجموع مخطوط بخزانة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 (من ورقة 113و إلى ورقة 115 و).

5 – **مقنعة السائل عن المرض الهائل لذي الوزارتين أبي عبد الله محمد**

---

1) من أهل بِلّش مالقة، Vélez Malaga تولى خطابة الجامع الأعظم بمكناس، ونسخ بيده كتباً كثيرة، وقفت على بعضها، وتوفي عام 912 هـ، ودفن خارج باب البردعيين، بروضة الولي عبد الله بن محمد.

انظر: الترجمة التي بناها له الأستاذ عبد العزيز الساوري في مقالته: «صناعة المخطوط الأندلسي: البياضي آخر الوراقين في الأندلس». مجلة آفاق الثقافة والتراث بدبي، يناير 2009.

بن عبد الله ابن الخطيب السلماني المتوفى سنة 776 هـ، وهي هذه المقالة التي سنتحدث عنها بتفصيل إن شاء الله.

6 – **شرح رسالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني الغرناطي (كان حيّاً سنة 769 هـ)** [1].

منه نقول في كتاب الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية ص 90، 91، 144، 147، 163، 164، 202.

7 – **تحقيق النبأ عن أمر الوباء: لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري، كان حيا سنة 776هـ.**

ذكرها في كتابه: ((تقييد النصيحة)) ، فقال[2]:((هذا هو الكلام في هذه

---

1 هو محمد بن علي بن عبد الله اللخمي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشُّقُوري، منسوباً إلى مدينة شقورة Segura، ومنها أهله، ولد في عام 727 هـ.
قرأ على جده للأب، وعلى أبي زكريا بن هُذَيل ولازمه وانتفع به، والحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، وسلك بالشيخ الصوفي أبي مُهذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بركته.
كان طبيب دار الإمارة، وألَّف كتباً نبيلة، منها: «تحفة المتوسِّل وراحة المتأمِّل»، وهو في صنعة الطب، ألفه برسم قاضي غرناطة أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي الشهير بالشريف الغرناطي (ت760 هـ)، مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 2337، وكتاباً في «الأدوية»، وكتاباً أسماه «الجهاد الأكبر»، وآخر سماه «قمع اليهودي عن تعدي الحدود»، أحسن فيه ما شاء، ومقالة في الطب، أو مجربات الشقوري، منها نسخ خطية في الخزانة العامة بالرباط: رقم د 1035، ورقم د 1680، والخزانة الحسنية بالرباط رقم 6323.
انظر ترجمته في: الإحاطة 3 / 177 – 179
2) مخطوطة الفقيه محمد عبد الهادي المنوني بالرباط ص 33، ومخطوطة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 111و.

النصيحة على ما شرطته، وقد بسطت هذا بأوعب[1] منه في تأليفي المسمَّى بـ تحقيق النبأ عن أمر الوباء ».

8 – تقييد النصيحة: لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشَّقُّوري، كان حيا سنة 776 هـ.

ويقتصر هذا التقييد على تقديم النصح الطِّبي من أجل الوقاية من الوباء، وعلاج المصابين بمرضه.

يقول المؤلف في خطبته: «وإنِّي رأيت أن أبثَّ في هذا العارض الوبئي نَصيحةً لإخواننا المسلمين، جعلها الله خالصة لوجهه، ومقربة من رحمته »[2].

وقد ذكر الشقوري في مقدمة هذا التقييد أن هذا الوباء «سببه فسادٌ مبثوثٌ في الهواء المتنفَّس فيه، فلذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء، وهو من آكَدِ الأشياء، ولا يعرف الهواء والحاجة إليه الكثيرُ من الناس، وإنما يعرفه من يعتريه أمرٌ يَضَيِّقُ نفسه من تعبٍ شديد أو مرض في آلات التنفس، ثم إن هذا الفساد يقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً حسبما شوهد منه »[3].

وقد أشار الشقوري إشارة خفية إلى مسألة العدوى، فقال: «ولا ينبغي لأهل الجهل بالطبّ أن يتبعوا في ذلك نفوسهم، بل ينبغي الاقتداءُ بأهل الدين والفضل... فإن كثيراً من الناس يُفْهَمُ من كلامه أن الطبَّ مخالفٌ أمر الله، وهذا جهلٌ من قائله، وإنما المخالف لأمر الله، مَن نسب فعلاً لمخلوق مِن كلٍّ وجه... والاعتقادُ الواجبُ في ذلك أن الطبَّ من أمر الله، ومما نَدَبَ إليه رسول الله صلى

1) في مخطوطة الأسكوريال: «بأوجز».
2) مخطوطة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني ص 26.
3) المصدر نفسه ص 26.

الله عليه وسلم، وممَّا خوَّل به عباده من النِّعَم »[1].

وفي أعطاف هذا التقييد، يدعو الشقوري «أهل الدين والعقل ممَّن أسْنِدَ إليه أمرٌ من أمور المسلمين أن يمنع أهلَ الجهل والإقدام من مضرَّة المسلمين بإعطاء الأدوية دون مشورة الأطباء، واستعمال الفَصْد كذلك... وما الذي يضرّ الفاصد أو العطَّار في ألاَّ يُقدم على شيءٍ من ذلك إلاَّ بنظر طبيب »[2].

وينحصر هذا التقييد في فصلين وتنبيه:

الفصل الأول: في إصلاح الهواء.

الفصل الثاني: في إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء.

وأمَّا التنبيه «فقد نصَّ جماعةٌ من الحكماء المهرة، حسبما أحكمته التجربة، وشهد له القياسُ على أنه إذا سقطت شهوةُ الغذاء في مرض الوباء، جُبِرَ المريض على الأكل، فإنَّ أكثر من يتشجَّع ويأكل قسراً، يفيق من مرضه، فلا بدّ من جبرهم على الأكل »[3].

من هذه المخطوطة ثلاث نسخ خطية:

الأولى: في خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني –رحمة الله عليه– بالرباط، وتقع ضمن مجموع حافل من (ص 26 إلى ص 33)، كتبت بخط أندلسي على يدي مقيّدها لنفسه علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري[4]، وذلك بمدينة بلش.. من يوم السبت العاشر لصفر من عام سبعة وسبعين وثماني مائة.. بموافقة الثامن عشر من يوليه.

1) المصدر نفسه ص 27.
2) المصدر نفسه ص 32.
3) المصدر نفسه ص 32.
4) سبقت الترجمة به.

والثانية: في مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785، ضمن مجموع (من ورقة 106 ظ إلى ورقة 111و)، كتبت بخط أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي.

والثالثة: في المكتبة الوطنية، بمدريد، ضمن مجموع رقم 5067 / 8.

9 – **المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية**: لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي المتوفى سنة 816هـ[1].

وضع ابن هيدور في هذه المقالة: «أنموذجاً مختصراً فيما قالته الحكماء ورسمته العلماء في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية، إذ هذا الزمان وقت كيانه، ووفوده وإتيانه »[2].

فبادر «بإلقاء ما قالته العلماءُ في دفعه ومُداواته وحسم علّته الكائنة في أوقاته »[3].

وشخَّص ابن هيدور في مقالته أنواع هذا الدّاء، فقال: «إمَّا بسرعة وإمَّا بمهلة، فما كان منها بسرعة ووحي يعمّ ناساً كثيرة سُمِّي الطاعون الوبائي، ويسمَّى أيضاً المرض الوافد، وما كان منها بمهلة، وغير عام، فيسمى مرضاً شخصياً جزئياً... وما كان منها بسرعة، فإمّا أن يكون شاملاً أو غير شامل، فهي الأمراض الحادة الشديدة التغيُّر القريبة البُحران، والأمراض المفاجئة

---

1) هو علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي، يكنى أبا الحسن، إمام الفرائض والحساب، له شرح على تلخيص ابن البنا في الحساب، وتقييد على «رفع الحجاب» له أيضا.
وكان كثير التقييد، وله خط رائق، ومشاركة في فنون شتى. توفي بمجاعة كانت بفاس سنة 816هـ.
انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس 3/ 397 رقم 1429.

2) ص 36.

3) ص 36.

التي تأخذ فجأة وبغتة، وأسبابها كثيرة، وكثرتها من الأمراض الامتلائية... وأما الشامل، فهو المرض الوبائي، وهو الذي أردنا ذكره في هذه المقالة المسماة بالمقالة الحكمية في الأمراض الوبائية » [1].

وفي ثنايا هذه المقالة، يذكر ابن هيدور «أن سبب هذا المرض، يكون من فساد الهواء وتعفينه، ويكون أيضا من فساد الأغذية، ويكون منهما معاً، وهو الطامة الكبرى » [2].

وأما علاج هذا الدَّاء فبطريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة أسرار الحروف، والتوجُّه لله تعالى بالدعاء المأثور.

والطريقة الثانية: الطريقة الطبية.

منها أربع نسخ خطية:

الأولى: في خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني – رحمة الله عليه– بالرباط، ضمن مجموع حافل (من ص 36 إلى ص 49)، كتبت بخط أندلسي على يدي مقيِّدها لنفسه بخط يده... علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري... وذلك في يوم الثلاثاء الموفي عشرين لشهر ربيع الأول المبارك من عام أحد وستين وثماني مائة بموافقة الخامس عشر من فبراير الأعجمي.

والثانية: في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية

1) ص 37.
2) ص 37.

والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء رقم 364 ضمن مجموع رقم 1، كتبت بخط مغربي، وتقع في 6 ورقات.

والثالثة: في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 9605.

والرابعة: في دار الكتب المصرية رقم 183 طب، بعنون: «رسالة في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الأغذية».

10 – وصيَّة الناصح الأَوَد في التَّحفُّظ من المرض الوافد إذا وفد: لأبي عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن منظور القيسي المتوفى سنة 888 أو 889 هـ[1].

ذكرها تلميذه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحدَّاد الواد ياشي ثم

---

1) هو الخطيب الإمام الجليل الأصيل أبو عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن أبي العرب محمد بن محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي، بيته بيت علم ونباهة، واصالته مشهورة.
تولى قضاء مدينتي مالقة وبسطة، كما تولى قضاء الجماعة بغرناطة سنة 864هـ، وقام بجمع المال من وادي آش وبسطة لإعانة مدينة مالقة لما عزم ملك قشتالة على محاصرتها سنة 888 هـ.
لقيه ابو جعفر الوادي أشي بمنزله، وتبرك بدعائه، وسمع خطبته ومواعظه بالمسجد الأعظم، ولم يقدَر له بحضور مجلسه ولا الأخذ عنه.
أجل شيوخه أبوه، ولم يأخذ عن أعلى رواية منه، وأبو عبد الله المنتوري، وأبو عبد الله المجاري، وأبو إسحاق إبراهيم البدوي وابو الحسن بن العز، وأبو القاسم بن سراج وابو جعفر العريبي، وابو الحسين محمد بن إبي بكر بن منظور، وغيرهم لقيهم، واخذ عنهم.
وكتب له ابو زيد عبد الرحمان بن محمد الثعالبي من الجزائر وذكر الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل انه التقى به سنة 870 هـ.
توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين وثماني مائة، ودفن خارج باب إلبيرة.
من تصانيفه: مجموع فيه إجازاته (مخطوط في خزانة خاصة)، ورجز في أسماء النبيّ صلّى عليه وسلم، وللقلصادي شرح عليه، وكتاب النفقات او فتوى حول حقوق النساء المطلقات، الف بتاريخ اوائل ذي القعدة من شهور عام 864هـ، وهو قيد الطبع.
انظر ترجمته في: ثبت البلوي ص 215–216 ونيل الابتهاج ص 558 رقم 684 وديوان عبد الكريم القيسى (انظر الفهرس)، والبسطي آخر شعراء الأندلس (الفهرس)، ورحلة عبد الباسط إلى بلاد الأندلس ص 311 – 328 المنشورة في مجلة الأندلس مجلد 1 – 1933.

الغرناطي[1]، ونقل منها[2].

قال أبو عمرو بن منظور في خطبتها: «فهذه جملة مباركة بفضل الله سبحانه وتعالى سمّيتها: «وصيَّة الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد» ، نفعنا الله بذلك سبحانه، ولا أعدمت جوده وإحسانه، وملِتُ في هذه الوصية إلى الاختصار غير المخل، وحاشيتُها عن التطويل المُمل » [3].

إن الكلام في وجه التحفظ منه ينحصر في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيما يُقرأ ويُذكر، وتُحمد عاقبته وتشكر.

الفصل الثاني: في وجه تدبير الإنسان على مذهب الأطباء والحكماء، والأذكياء في المسكن والمأكل والملبس، وغير ذلك مما يستعدّ به قبل نزول الداء.

هذا الفصل يحتوي على مسائل:

المسألة الأولى: في إصلاح الهواء في المسكن.

المسألة الثانية: في الحركة والسكون.

المسألة الثالثة: في الأطعمة والأشربة.

---

1) أخذ عن أبي عبد الله بن الأزرق، وقد حاز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة، حلّ بتلمسان بعد أخذ غرناطة، وحصلت له بها مصاهرة مع أعيانها بني مرزوق، ثم آلت إلى مقاطعة، حسبما ذكر في بعض ما له من النظم، وكان له نظم لا بأس به، فمن ذلك قوله بعد أن لامه الناس، عندما طلق بنت ابن مرزوق: [الطويل]

يلومني الأقوامُ من بعد ما سطا   عليَّ ابن مرزوق ومَنَّ بإنفـاقِ
فقلتُ لهم كُفُّوا الملامَ فإنَّني   تركتُ ابن مرزوق وأمَّنْتُ رَزَّاقي

انظر ترجمته في: أزهار الرياض 3 /305 – 306.

2) مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785، ورقة 115 و–ظ.

3) ص 2.

المسألة الرابعة: في النوم واليقظة.

المسألة الخامسة: في الاستفراغ والاحتقان، وترجع هذه المسألة إلى أمور خمسة:

الأمر الأول: تسهيل الطبع.

الأمر الثاني: تنظيف المعدة.

الأمر الثالث: تخفيف الدم.

الأمر الرابع: الجماع.

الأمر الخامس: الاستحمام.

الفصل الثالث: فيما هو مذكور أنه من الخواصّ بهذا المعنى، مما نُقل عن العلماء ممن كان بهذا الشأن يُعنَى.

منها نسختان خطيتان:

الأولى: في خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني، رحمة الله عليه، بالرباط، وتقع ضمن مجموع حافل من (ص 1 إلى ص 23)، كُتبت بخط أندلسي على يدي مُقَيِّدها لنفسه بخط يده.. علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري.. وذلك بمدينة بلش.. من يوم الجمعة التاسع لصفر من عام سبعة وسبعين وثماني مائة، وبموافقة السابع عشر من يوليه الأعجمي.

والثانية: في مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء رقم 355 ضمن مجموع يحمل رقم 7، كتبت بخط مغربي، وتقع في 11 ورقة.

ويوجد بالورقة الأولى منها إجازة بخط أبي عمرو ابن منظور القيسي، نصُّها:

«الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله تعالى، يقول كاتبه أبو عمرو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن منظور القيسي وفقه الله تعالى، ولطف به بمنّه: قرأ عليَّ الفقيه الأرضى الأصلح الأتقى المجتهد الأسنى الأبَرّ الأسمى الخطيب الأزكى السريّ الماجد الفاضل أبو الحسن علي ابن الشيخ الفقيه الخطيب الأصلح الأكمل أبي القاسم البياضي أعزه الله، وكان قدوة أصلح قوله وعمله، جميع هذه الوصية التي ألَّفتُها وسمَّيتُها: «وصية الناصح الأوَد في التحفُّظ من المرض الوافد إذا وفد» قراءة تصحيح لها وختمها وصححها، وأجزتُ له أن يرويها عنّي، وقد كتبتُ له قبل هذا إجازة عامة مطلقة تامَّة، والله ينفعه باجتهاده، ويبلغه في العلم والعمل به منتهى قصده ومراده، ويجعله من خير عباده، وكَتَبَ المجيز بذلك خطه مسدلاً منه بتاريخ اليوم العاشر من صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة. عرَّفَ الله خيره وبركته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أثيراً».

11 – مقامة في أمر الوباء: لأبي علي عمر بن علي بن الحاج السعيدي

المالقي (كان حيا سنة 844 هـ)[1].

كتبت بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمانمائة.

قال المقري: « ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء، رأيت أن أثبتها لغرابة مَنزِعها، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء، ونصُّها[2]:

1) هو أبو علي عمر بن علي بن عمر الحاج السعيدي المالقي ميلاداً ومنشأً، الغرناطي سكناً. عرَّف به معاصره أبو يحيى ابن عاصم في الرَّوض الإريض، فقال: ((صاحبنا الكاتب البارع الخصل، الموهوب النصل، المليء بفنون الأدب نظماً ونثراً، وكتباً وشعراً، ومصنوعاً ومطبوعاً، ومرسلاً ومسجوعاً، وجداً وهزلاً، وتولية وعزلاً، لا أعلم أني لقيت بعد الرئيس أبي عبد الله الشرَّان رحمه الله أبرع منه في الكتب والشعر، ولا أقدر منه على النظم والنثر))، وبعد أن وازن ابن عاصم بين الفقيه عمر والشرّان، فضَّل الفقيه، فقال: ((إنه أفرغ جهده في أن يتقدمه في المرتبة وأن يظهر عليه في الخصوصية بهذه المنقبة (يعني الزجل) فحبَّر الرسائل، وأنشأ إلى الروضة النبوية الوسائل، وكتب مغرباً في الأساليب الظهائر، واخترع في الكتب السلطاني فنوناً خالف فيها الطرق الشهائر، واختلق في التهاني القصائد، وعطف بالقطع الفاذة، والمعاني المعهودة والشاذة)).

ووصف المقري الفقيه عمر المالقي بالأديب الشهير، وقال فيه أيضاً: ((فهو أشهر من نار على علم))، ونعته أيضاً، فقال: ((وكلام المذكور كثير، ومحله من عذوبة المنطق أثير... وله عدة تآليف أكثرها هزلية))، وقال أيضاً: ((وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند العامة محفوظة)).

ولم يصل إلينا من هذا كله إلا القليل، منها:

- مقامة سماها تسريح النصال إلى مقاتل الفصال: وتشمَل على نثر وشعر في السخرية والاستهزاء بأحد أدعياء التصوف بغرناطة في وقته.
وردت في أزهار الرياض 1 / 116 – 125، ونفح الطيب 5 /40 – 46.
- مقامة في أمر الوباء: وهي شبه مفاخرة بين مالقة وغرناطة، وفي آخرها: كتبت بتاريخ ربيع الآخر عام 844 هـ.
انظرها في أزهار الرياض 1 /125 – 132.
- فراجة الكرب في مدح سيِّد العجم والعرب: مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 5911 ضمن مجموع.
- زجل من رمل المايَة في شجر يسمى في الأندلس والمغرب بِدِيدِي: أورده الغساني في حديقة الأزهار ص 84.
- زجل صبوحي: حققه د. محمد بن شريفة، ونشره في كتابه «تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب» 5 /165 – 179.
- أشعاره: في نفح الطيب 5/ 46، وأزهار الرياض 1 /125.

انظر ترجمته في: نفح الطيب 5 /40 – 46 وأزهار الرياض 1/ 116 – 132 وروضة الإعلام 2 /591 – 594 وتاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب 5 /165 – 179 وحديقة الأزهار للغساني ص 84.

2) أزهار الرياض 1 / 125 – 132.

إلى حمراء الملك وقلعته، ومَقَر العز ومَنعته، ومطْلَع كل قمر نصْرِيٍّ يُخجل الأقمار بطلعته، أبقاها الله على تعاقب الزمان، منزل أمان ودار إيمان، وأمتعها بحياة المَلِكِ الخَزْرجي اليمان، من مُوجبة إجلالها كما يجب، المعْترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجِب، والواقفة عند إشارتها وطاعتها، فإن تأمُرُ، أمْتَثِلْ، وإن تَدْعُ، أسْتَجِبْ، مالقَة، المستمسكة بذمتها الوثيقة، المتشوِّفة إلى أخبارها تشوف المُحَبَّة الشفيقة، إلى رَيحانة قلبها في الحقيقة، وإلى هذا يا سيدتي ويا عُدَّتي، ويا ذخيرتي ويا عُمْدتي، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذَنَا من الوَرَطات، وردّنا إلى الصواب مما كانَ منا من الغَلَطات، مولانا الغالب بالله وحدَه، الموعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسِّرٌ وعده.

سلام عليك يتعطَّر بذكر مولانا أمير المسلمين فَوْحُه، وينشق كالمسك الفتيت روحه، ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي إذا اسْتُكْفِيَ بعزَّته كفَى، وإذا استُشْفى بكلمته شفى، وإذا سئل بواسع رحمته عفا؛ وأُصلِّي على رسوله محمد الكريم المصطفى، وعلى آله وأصحابه، أكرم من نصح له وأَخْلَص ووفَى.

كتبته إليكِ يا سيدتي عن نفس قلقة، ساهرة أرقة، حاذرة مشفقة، مُلْهَبة بل محترقة؛ وإني أُقسم عليك بالرب الذي كرمك بالعز وشرفك، وعرفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك، أن تسعديني على تسكين لوعتي، وتأمين روعتي، وتراجُع رقادي بعد سُهادي، وقضاء حاجة جلّت في فؤادي، وتفَهمي مراد إشارتي وإشارة مرادي، وتتركي هوى النفس الذي هو للحق معاند وللرشد معادي.

Scanned with CamScanner

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم: «الشفيق مولع بسوء الظن»، ومن مِنَن الله على عبده الوقاية من المتالف جل الله العظيم المن؛ وعلى قول المتنبي:

رُبَّما ضَرَّ عاشقٌ معشوقا ومن البِرِّ ما يكون عُقُوقا[1]

والمثل الأول لي، والآخر لك. والله يُيَسِّر في حفظ مولانا أملي وأملك.

وإني أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل، هذا المرض به فاش، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش، وسمعتُ أن حديث السفر لمالقَة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش؛ وأنَّ الآراء في ذلك اختلفت، ولم يُرْجع فيها إلى سُنن تقدمت وعوائد سلفت؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ما تركوا شيئاً سُدى، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هُدى، وسمعت يا سيدتي أن القضية عُوِّل فيها على المُقام والاستسلام، وخولف فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول في مثلها عن سكنى دار السلام، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام؛ وقد سمعتُ في الأجوبة الظريفة، ما صدر من قوله: أخشى أن أكون أول خليفة؛ وقد كنتُ يا سيدتي أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع، أو يحصل بدخول فَصْل البرد انتفاع؛ فتركت الكَتْب منتظرة لذلك، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك؛ وأنا أقول: أما واجب التسليم، لتقدير العزيز العليم؛ فمتأكد شرعاً، لا يضيق به المؤمن ذرعاً؛ لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد، إذا قيل له اهرب من الأسد؛ وقد أبصره مقبلا إليه، أو مُنقضّاً عليه؛ أيأخذ في تحفظه واحتراسه، أم يصبر لافتراسه؟ ومن قيل

[1] لم أجد هذا البيت في نسخ ديوانه.

له في ظلم الليل: اِرتَفِعْ عن هذا المكان تَنْجُ من السيل؛ أينام في مكانه، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه؟ ومن نودي: هذه الخيل قد طلعت مغيرة، والرعاة بالجبال مستجيرة؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح، فالوقت في انفساح؛ أيتركها تسرح، ولا يبرح؛ أم يرفعها لتسلم، ممّا تدرب وتعلم؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفاً، وأصابت سهامهم من الخلق ألوفا؛ أيرجِّح الحقُ تباعداً أم وقوفاً؟ وكذلك أيضاً المنازل التي تدوم بها الزلازل؛ فأرضها في كل يوم تميد، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد، والخسف بها في يوم ينقص وفي يوم يزيد؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار، على ركن دار؛ وانفكاك الأركان، على السكان؛ وإخراج ميت، من تحت بيت؛ وسقوط سارية، على جارية؛ أيُعزم على السكنى والاستيطان، تحت هذه الحيطان؛ أم يؤخذ في الاحتيال، بالخروج بالأطفال والعيال؟

يا سيدتي الحمراء، سألتك فأخبريني، وإن تحيَّر فَهْمي فاعذريني، ووصل إليَّ الكتابُ الشريف، من جِنان العريف؛ يذكر أن السلامة كانت به مستصحبة لمولانا ولناسه، وأن العافية كانت بهم منتَشقة مع أنفاس رَنده وآسه، ما عرضتْ به إلى طبيب حاجه، ولا استدعى فيه المُعاوِر للنظر في زجاجه؛ ولا لقول ولا عمل، ولا بلغ من الجساوة والقساوة أقل أمل؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان، من عبيد مولانا السلطان، غير فتى من الخُصيان، لا يساوى عشرة دراهم في سوق الفتيان، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه، بطول أيام الإقامه؛ وعرفنى أيضاً جِنان العريف في وافد كتابه، ووارد خطابه، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحيح هوائه، وسلسبيل مائه؛

ونفحة جنابه، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه. إلى مالَقة حيث الجو الصقيل، والروض الذي يطيب به المَقيل، والراحة التي تمتزج بالأرواح كما قيل؛ حيث العَرْف الأرِج، والوادى المنعرِج، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج، حيث البنفسَج يدير كؤوس البهَار، والياسَمين نجوم طالعة بالنهار؛ حيث يتمازج طيب الزهرَ، بعَرْف الأترجّ ونفحات السَّحَر، حيث يشبه أنين السواني، حنينَ المتعشّقات من الغوانى، إذا حُمِدَ الصباح، وانفلق الإصباح؛ وعمرت صغار القوارب، ونادت بحْرية الشباك: إلى المضارب، وسالت أنوارالمشارق على جوانب المغارب، ونادى محرك الجيش: ظهورَ الخيل، وصباح الخير، واستقبلوا الوادي الكبير لمصيد الأرنب والحوت والطير؛ شكر الله جِنان العريف على ما قصد ونوى، وعلى ما أظهر من إتباع حق ومخالفة هوى، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفِظ ورَوَى.

وقال لي يا سيدتي إنك وقفت مع الحديث المنصوص، الوارد في مثل هذا المرض على الخصوص؛ وفيه النهي عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه، وعن القدوم على معتركاته ومصارعه؛ والحديث صحيح، والرشدُ فيه قول صريح؛ ولكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل، وقد لخّصها وبيّنها الإمامُ ابنُ رُشد في كتابه «الجامع من البيان والتحصيل»؛ والاتفاقُ من الجميع أن النَّهي في هذا الحديث ليس بنهي تحريم، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم؛ فلا إثم ولا حَرَج، على من أقام ولا على من خرج.

وقال عمرو بن العاص: الأفضل الخروج لأهل الفِطنة، اتقاء من اعتقاد يؤدي إلى فتنه؛ وكفى بعمرو بن العاص حُجَّة لمن أراد انتصارا، والكلام كثير،

ولكني اختصرته اختصارا؛ وإنْ نظراً قدّمه كثير من الصحابة ورجّحه، لخليق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه! ياليت تفقهي كله يكون من هذا القبيل، وجاريا على هذا السبيل، مستندا إلى قولِ صحابي جليل، ومستدلاً بأرشَد عِلْم ودليل، ولو كان على خلاف المشهور من قول خليل. وهنا يقال: ما في هذه القُلّة غير هذا الإغريل.

يا سيدتي الحمراء؛ أراك في هذه القضية تفقّهتِ وتوقفت فيما بيّنه عالم وذو عِلْم، ومنَعْت مما ليس فيه حَرَج ولا إثم، ولو كنت حاضرة لكان لي مَعَك حديث طويل، واحتجاج ينصره نَص وتأويل. وسمعتُ أنكِ أشفقتِ من عظيم النَّفقَة، وليس هذا موضع الشفقه؛ فالأمن ليس بغال، ولو يُشترى بكل ذخيرة وكل مال؛ والأولى بالملامه، مَن يفضّل شيئا على السلامه. القمح يأكله السُّوس، والذَّهب تغنى عنه الفُلوس، فكيف يُستعظَمان فيما تُؤمَّن به النفوس. وبلغني أنك قلت: مالقَة ليس بها زرع، وبقليل المُقام يضيق لها صَدْر وذَرع، وفلاحتها وحرثها ليس لهما أصل ولا فرع؛ وعزَّ عليَّ هذا الكلام، ولكنني سلمت والسَّلام؛ فإن سِعرى عن سعر غرناطة منحطٌّ، وفي لمحة بصر يضيق منى بالطعام في كثير من الأيام ساحل وشَطّ، ولا يُعلم أنه دامت لي شدة قطّ.

لي في الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام؛ أثق في اليوم والغد، بالرزق الرَّغَد؛ تأتي به الرياح على الأعناق، ويَفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق، وتجلبه الأحباب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهّاب الرزاق.

قالت النملة: افتخارى، بادخاري؛ قالت العصفورة: توسلي، بتوكلي،

قالت النملة: أعتمد على الحَبّ ، قالت العصفورة: أتَوَكل على الرَّب. فلما جَنّ الليل، أقبل السيل؛ فخرجت النملة بالعَوم، وبقيت الحبوب بين الدَّوم؛ فنزلت العصفورة وسجدت، والتقطت من مدَّخر النملة كل ما وجدت؛ وقالت: خسِر المحتكِر، وربح طالب الرزق المبتكِر، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر.

وصحَّ عندى أن الوزير، أعزه الله، ليس عنده في هذا كله كلام ولا قول، وأن الأمر عنده مفوَّض إلى الرب الذي له القوة والحول. وسمعتُ يا سيدتي أنّ هذا السقم، أعظمُ تأثيره إنَّما هو في قطع الأكباد، من صغار الأولاد الذين من فوق السبع ودون العشر، وهم في هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشْر؛ وهذا إلى كَتْبي لك أعظم داع، فإن الأولاد سوائم والوالد راع؛ والراعي لا يترك غنمه في طريق سَبُع ضار، ولا قريباً من حريق نار؛ ونحن نشاهد الطير ينقل أفراخه من وكْر إلى وكْر، ويسترها بملتف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح أو صاحب مَكْر؛ فكيف لا نقتدي في تأمين رَوعتنا بمن تقدَّم من الأكابر، ونقف في حامل السيل بأولادنا الأصاغر؛ فما عندكِ في هذا كله من القول ومن الجواب؟ وما يظهر لك من وجه الرأي والصواب؟

اكتبي بذلك كتاباً أعتمد عليه، وأستند إليه؛ وقبِّلي عنِّي يدَ مولانا تقبيلا، ويا ليتني وجدت إلى ذلك سبيلا؛ وأخبريه أني في خدمته على نيتي الأولى، عاكفةً على شكر مِنَّته الطُّولَى؛ أدام الله حِياطة البلاد والنفوس بحفظه وحِياطته، وأسمعنى البشارة بقدومه على مُحْدَث مالقَة من حمراء غَرناطته؛ ويحفظه في النفس والأولاد، والملك والبلاد، بمنّه وفضله.

وكُتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة. انتهت المقامة ».

12 – الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية: وهي عبارة عن أسئلة وأجوبة تتعلق بنازلة الطاعون الذي وقع بالأندلس سنة 886هـ.

وهذه الأسئلة وردت من غرناطة، من قبل أبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الموَّاق الغرناطي المتوفى سنة 897هـ، بعث بذلك إلى تونس لأبي عبد الله محمد بن القاسم بن أبي يحيى بن أبي الفضل بن محمد الأنصاري الرصَّاع التونسي المتوفى سنة 894هـ.

منه نسختان خطيتان:

الأولى: بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 19646، من رصيد مكتبة علي النُّوري بصفاقس، كتبت في أواخر شهر جمادى عام 886هـ بقلم أبي النُّور بن أحمد السوسي.

والثانية: في الخزانة العامة بالرباط رقم1009 ك.

حققه الأستاذ د. محمد حسن ، وصدر عن دار المدار الإسلامي ببيروت سنة 2007 .

الفئة الثانية ، ويندرج ضمنها التراث الوبائي في سياقه الديني - الأخلاقي، ونحدده في التصانيف التالية :

1 – تحقيق الأنباء فيما يتعلق بالطاعون والوباء: لأبي حامد العربي بن يوسف بن محمد الفاسي الفهري المتوفى سنة 1052 هـ: ذكر في الروضة المقصودة 2 /747.

2 - عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين: لمحمد بن محمد بن عبدالرحمان بن حسين الرعيني المغربي المكي عرف بالحطاب المتوفى سنة 954 هـ.

ذكر في طبقات الحضيكي 1 /280 باسم: «عمدة الدواوين في أحكام الطواعين».

منه مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم ك1797 ضمن مجموع (1 – 55)، نسخت عام 944 هـ، ونسخ خطية أخرى في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 5281 – 8344 – 8886.

3 - البشارة بأن الطاعون لا يدخل الحرمين: لمحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسين الرعيني المغربي المكي عرف بالحطاب المتوفى سنة 954 هـ.

ذكر في طبقات الحضيكي 1 /280.

4 – دفع النقمة في الصلاة على نبيّ الرحمة : لأحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني المتوفى سنة 776 هـ: منه نسختان خطيتان: الأولى بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1772، والثانية بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 18574.

5 – تأليف في أحكام الطاعون [الواقع عام 1156 هـ]: لمحمد بن الحسن البناني.

مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 2545 د ضمن مجموع من (ص 1 إلى 68).

6 – الدروع والظباء في دفع الطاعون والوباء: لمحمد بن موسى بن محمد ابن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر.

مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 1071ك ضمن مجموع، من ص (183 – 189).

7 – إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء: لحمدان بن عثمان خواجة المتوفى سنة 1255 هـ. حققه الأستاذ محمد بن عبد الكريم، وصدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1968.

8 – جواب في أحكام الطاعون: لأحمد بن مبارك بن محمد اللمطي السجلماسي المتوفى سنة 1155 هـ.

مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 1854 د.

9 – أجوبة عن أسئلة فقهية في الطاعون: لمجموعة من الفقهاء.

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك684.

10 – أقوال المُطاعين في الطَّعن والطَّواعين: لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الغريسي المتوفى سنة 1313 هـ.

مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 2054.

11 – الماعون في الكلام على ما يتعلق بالوباء والطاعون: لا يعرف مؤلفه.

مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء رقم 549.

12 – أجوبة في أحكام الطاعون: لمحمد بن أحمد بن محمد الحاج الرهوني، نزيل وزّان المتوفى سنة 1230 هـ.

مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 12373.

13 – أرجوزة توسلية لرفع وباء الطاعون: لمجهول.

مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 1586.

14 – تقييد في الطاعون: لمحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل الزيزي، نزيل الرباط، ثم بَجَّعْد المتوفى سنة 1214 هـ.

منه نسختان خطيتان في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 3626 – 3627.

15 – عيون الآثار فيما في الطاعون من الأخبار: لمجهول.

منه نسخة مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 11749.

16 – الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون: لعيد القاهر بن محمد بن عبد الرحمان التونسي المتوفى بعد سنة 899 هـ.

مخطوط بإحدى مكتبات إستانبول.

مشاهدات الأندلسيين
للطاعون الوبائي أو المرض الوافد
عام 749 هـ/ 1348 م

[أبو جعفر ابن خاتمة]

- 1 -

وقد كان ظهوره بالمرية أول شَهْر ربيع الأول من عام تسعة وأربعين وسبعمائة بموافقة أول شهر يونيو[1] فاستمرّ تمامَ فصلِ الرّبيع وجميعَ فصْلَيْ الصيفِ والخريف وطائفةَ من فصل الشتاء إلى تاريخ كتب هذا – وهو منتصف ذي قعدة بموافقة أوائل شهر فبراير– وإلى الآن لم يُقْلِع، لكن مخايلَ لطف الله باديةٌ وتباشير رحمته ظاهرة، تدارك الله تعالى بعاجل كرمه وسابغ نعمته، إنَّه مُنعم كريم لا ربَّ سواه.

وبطول هذه المدّة لم يزل نوعُ المرض واحداً، لكن ربَّما غلب مع كل فصل ما يناسبه من الأعراض وكان بهذه خفيفاً في يسيرِ من النّاس، وما زال يتزيَّد بتدريجِ ضعيفِ إلى آخر جمادى الآخرة بموافقة آخر شتنبر، ثم اشتدَّ واتَّصلت حالُه على ذلك بتناسبِ وتقاربِ إلى تاريخ كتب هذا المذكور– تلافى الله تعالى بما عوّد من عوائد إحسانه وعَرَّفَ من عوارف امتنانه– وكان ذلك من لطف الله سبحانه لأهل المرية في قضائه ورفقه في قَدَره، إذ لو نزل بهم دُفْعةً لأهلكهم رُعْبُه وسُقِط في أيديهم كما اتَّفق في غيرهم من بلاد المسلمين، فللّه الحمد في قضائه ملءَ أرضه وسمائه. -

فأول ما بدأ به ركنٌ من أركان البلد يُعرف بالخوايم، –وهو الركن الشرقيّ الشماليّ– متعلِّق على الذي يأتي ذكرُه من مساكنِ المساكين ومنازل

---

1) التّاريخ الميلادي لوقوع هذا الوباء هو 1347م، واستمرّ يضرب شهوراً ذواتِ العدد.

الضعفاء في بيئة هنالك يعرفون ببني ذلة، ثم اتّصل بمن يَليهم على تدريج في العدد وقربٍ في الجوار حتى أَخَذَ بأطراف البلد ثم انتشر خلالَه، وأنهى ما بلغ إليه عددُ من هَلك فيه في يومٍ بطول هذه المُدَّة نحو سبعين نسمة، وأين هذا العدد ممّا بلغنا عن غيره من بلاد المسلمين والنَّصارى؟ فقد بلغنا على ألسنة الثِّقاتِ أنه هلك في يوم واحد بتونس ألفُ نسمة ومائتا نسمة، وتلمسان سبع مائة نسمة ونَيِّف، وأنه هلك ببلنسية يوم العنصرة[1] القريب ألفُ نسمة وخمس مائة نسمة، وهلك بجزيرة مَيُورقة يوم أربعة وعشرين من شهر مايُه ألف نسمة ومائتا نسمة وخمسون نسمة، وخُمِّنَ من بقي من ناسها بعد ارتفاع الوباء بربُع الجَميع، وكذلك كان الأمر بسائر البلاد صغيرها وكبيرها على ما تأدّى إلينا، فالحمد لله على ما أَوْلَى من رفقه ومَنَّ به من لُطفه سبحانه.

وقد اختلف الأمر في مبدإ هذا الحادث من أين ابتدأ ظهورُه، فذكَر لي الثِّقة عن بعض تُجَّار النَّصارى القادمين علينا بالمرية، أنَّ ابتداءه كان ببلاد الخِطا، وبلاد الخِطا بلسان العجم هي بلاد الصِّين على ما تلقَّيتُه عن بعض الواردين من أهل سمرقند وكان ثقةً صدوقاً –وبلاد الصِّين هي من أولِ المعمور من الأرض من جهة المَشرق– وأنه مازال ينتشر من بلاد الخطا ويتَّصل بما والاها إلى أن اتَّصل بعراقِ العَجم وبَرِّ التُّركية، وذكر لي أيضاً عن آخرين من النّصارى القادمين علينا، أنّه بلغهم أنَّ ابتداءه كان بأرض الحبَشة وأنّه انتشر من هنالك فيما يليهم من الأقاليم والأقطار، حتى انتهى إلى ديار مصر واتَّصل بالشام؛ واختلافُ هذا النَّقل يدلّ على أن هذا الحادث عامٌّ لجميع الأقاليم وكافَّة الأقطار.

---

1) تَطْلَق العنصرة عند الفلاّحين على يوم يقع في الرابع والعشرين من شهر يونيو من الشهور الفلاحية.

وسب اختلاف النَّقل – والله أعلم– أنه مهما ظهر بجهةٍ من الجهات التي هي أوائل المعمور، ظنَّ ناسها أن مبدأ هذا الحادث منها، وانتشر الخبرُ بذلك ثم ترادفت الأخبارُ بنزوله بحصن قفا من معاقل الجِنْويين، –وهو الذي كان محاصراً في التاريخ القريب– ثم بأرضِ بيره والقسطنطينية العظمى وجزر الرُّمَانية من سواحل البحر الرّومي، وبلاد جِنْوه، وأرض إفرنسة آخذاً على ريف الأندلس، فشمل بلادَ أرغون برجلونة وبلنسية، وغيرهما وعمَّ أكثر مملكة قشتالة حتى انتهى إلى إشبيلية من أقصى المغرب، واتَّصل مع ذلك بجزُر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسرذانية وميورقة ويابسة وانعطف على سواحل العِدْوة وبلادها من أرض إفريقيا إلى ما يلي المغرب، لَطَّف الله تعالى بالمسلمين برحمته[1].

– 2 –

فإن قلتَ: ما بالُ هذا الحادث أسرعَ إلى المرية دون غيرها من بلاد الإسلام بالأندلس؟ فالجواب أنّ المرية من البلاد التي هي أشدّ استعداداً لهذا الحادث من غيرها من البلاد، وإنّما يتمُّ لك القصد من هذا الجواب بتصوُّرها على ما هي عليه، فلتَتَوَهَّم ساحلاً ممتداً على استقامة من جهة المغرب إلى ناحية المَشرق، لكن فيه انحرافٌ يسير عن مسامتته نقطةَ المغرب إلى ما يلي الشمال، وعن نقطة المَشرق إلى ما يلي الجَنوبَ، والبحرَ في جهة الجنوب منه، قد قام في الجهة الغربية من هذا الساحل حبلٌ متوسِّط في الارتفاع، خارجٌ في البَحر نحو ميل ونصف ميل يقاطع الساحل على زوايا قائمة، ويُسمّى جبل الكُنيْسَة

1) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 57و– 57ظ).

(بالتّصغير العامي)[1] وعلى مقربة منه في كنفه مما يلي الشرقَ البلدُ يحيط به سور ذاهب على موازاةٍ من شمال إلى جنوبٍ حتّى ينتهيَ إلى شاطئ البحر- وهو أحدُ أركان البلد، فينعطف مع الشاطئ ذاهباً إلى الشرق على استقامة الساحل إلاَّ ما لا خطر له من الاعوجاج حتى ينتهي إلى موضعٍ يُعرف بِالرِّجْل، وهو الركن الثاني من أركان البلد، فينعطف آخذاً من جَنوبٍ إلى شمالٍ صاعداً حتى ينتهي إلى رأس جبل هنالك يعْرف بالمدينة (بالتصغير العاميّ) وإلى موضع منه يعرف بالعرقوب – وهو ركنُ البلد الثالث- فينعطف من شرقٍ إلى غربٍ في خندق هنالك يُعرف بخندق باب موسى، ثم يصعد على جبل القصبة مارّاً من خلفها – وهو سورها الجوفي- إلى منتهاها- وهو ركن لها- فينعطف آخذاً من جهة الشمال إلى الجنوب فلا يمتَدّ إلاّ يسيراً، وينعطف آخذاً من شرقٍ إلى غربٍ حتّى ينتهي إلى الموضع الذي بدأنا منه – وهو رُكن البلد الرابع- وهذا السور المربَّع مقسوم بثلاثة أقسام يَفْصل بينها سوران متوازيان: على موازاة السور الغربي والشرقي، يأخذان من جانبي القصبة نازلين إلى أن يلتقيا بسورِ الساحل، والقسمُ الغربيُّ من هذه الأقسام يُعرف بالحوضِ، وهو بسيط خَرِب لا عمارة فيه اليوم إلاّ في أسواره، وجَوْفِيُّه خندق، والقسم الوسط يُعرف بالمدينة الداخلية وفيه الجامع الأعظم، وفي قبلته القيسارية وجَوفيُّ هذا القسم القَصَبة، وهي مقسومة بقسْمين يَفصل بينهما سورٌ من أحسن القلاع وأحصنها قد ارتفعت من جميع جهاتها واستقلّت من كافة نواحيها –جعل الله سبحانه العصمة

---

1) هو جبل الكُنَيْسَة بالتصغير ويُعرَف بجبل الحجر، وهو الطرف النهائي لسلسلة من الجبال الوعرة الممتدة إلى داخِل البحر، وكانت تلك السلسلة تمتد على طول حدود مدينة المرية حتى المنطقة الغربية. ومن المحتمل أن هذا الإسم يشير إلي وجود كنيسة قديمة في القرن الرابع عشر الميلادي، كانت ربما تابعة لأحد الاديرة، أو مُصَلى واقعا في الخلاء كما يدل عليه موقعها.
انظر: المدن الإسبانية الإسلامية ص 305 – 306.

والوقاية دفاعاً وسوراً بعزّته- وتتعلّق العمارة بسَنَدها، وجميع هذا القسم معمور، إلاّ يسيرَ ممّا يلي القسمَ قبله. والقسم الثالث الشرقيّ يُعرف بالمُصَلّى، وجنوبِيّة جبلي وهو قطعةٌ من جبل المدينة اِكْتنفها السور مع طائفة من خَنْدق باب موسى، وتتعلّق العمارةُ بطائفةٍ من سَنده، وهذا القسم أكثر الأقسام الثلاثة عمارةً وأوسعها ساحةً، بل هو أكبر مساحة من القسمين الآخرين إذا جُمِعا، والقسمان الآخران يتقاربان في المساحة، وذلك لأنَّ القصبة أخذت من القسم الوسط جزءاً كبيراً وانتظم القسمُ الغربيُّ في نمطه، بل دونه يسيراً فضاق لذلك ما بين جَوْفيهما وسور الساحل كما اتّسع ما بيْن (جبلي) الذي هو جوفيّ القسم الشرقيّ وبين سور الساحل، ويلي هذا القسم الثالث الشرقيّ فَحْص البَلَد، وهو فضاءٌ واسعٌ مع الساحل من جهة الشرق إلى جبال النبطة، وما يتّصل بها قِبلي البحر وجَوفيه مما يلي البلد جبال ثم تنقطع النَّفس دونها.

فإذا أنت تأملتَ هذا الوصف وتوهمتَ هذا الشكل، كنت قد تصوّرت مدينة المرية، وهي بلا شكّ مدينة ساحلية مَنْصوبةٌ على سَمت القطب الجنوبيّ مكشوفةٌ من جهة الشرق، ولا يبلغ ما امتدَّ من جبل الكنيسة في البحر بأن يسترها من جهة الغرب، لانقطاعه عن قربٍ وقلّة ارتفاعه، والبحر في جهة الجنوب منها مكنوفة من خلفها بجبل القصبة وسورها وبقطعةٍ من جبل المدينة المسمّى (بجبلي) وذلك ممّا يعكس عليها الأشعة الفلكية والرياح الجنوبية.

ومن أطعمتها الحيتان وهي غالبُ أُدْمِ أهلها، وهواؤها رطبٌ لَيِّن الجرية، ينبع من بطن وادٍ كثير الأشجار والمستنقعات، تنجذب إليها السيول من بُعد عند نزول الأمطار.

وهذه الأمور كلّها موجبات للانفعال مؤكّدات للاستعداد، مناسبةٌ لطبيعة هذا الحادث، فلا غرو أن يسرع إليها أكثر من غيرها من البِلاد التي ليست على هيئتها ولا طبيعتها من الاستعداد، والله أعلم سبحانه[1].

- 3 -

ولقد شهد تأهل سوق الخَلَق بالمرية الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفُرشهم، مات أكثرهم ولم يسلم منهم، ولا من الذين خلفوهم إلى الآن إلاّ الأقل، وغيرهم من أرباب الأسواق، حالُهم كحال سائر الناس.

واطّلعت من حال البلدان التي حرص أهلها على أن لا يدخل إليهم أحدٌ من بلاد الوباء، وحافظوا على ذلك، أن استصحبوا السلامة زماناً، حتى غُلبوا على ذلك، وإن أكثر أهل الحصون التي تلي المرية، ونزل بها هذا الحادث، ليؤرِّخون زمان نزوله بهم، بقدوم فلانٍ أو فلانة عليهم من بلاد الوباء، وموته بين أظهرهم. ولهم في التحفُّظ من ذلك والتورُّط فيه حكاياتٌ تواترت بانتشارها، فلا معنى لإنكارها[2].

- 4 -

وحكى لي الثِّقات على ألسنة من قدم علينا المرية من تجار النصارى من ميورقة، أن بعض أطبائها شرح مواضع تلك العقد من جسد بعض من هلك

1) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 61 ظ).

2) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 64 ظ).

منها من الناس، فكشف له التشريح عن عروق متصلة منها بالقلب، ممتلئة من الدم.

وهذه الحكاية، المعنى يشهد لها العلم، ويعضدها النظر. والله تعالى أعلم[1].

– 5 –

وورد الخبرُ من مصر بأن ثلاثةً من اللصوص نقَّبُوا داراً، فوُجِدُوا عند الصباح موتى؛ أحدُهم على باب النَّقْب، والثاني على رأس الدَّرجة، والثالث على الثياب المكوَّرة.

وقد أخبرني بعض التُّجار بالمرية أنه بلغه عن ثقةٍ، أنه اتَّفقَ قريبٌ من هذه الحكاية بتونس في هذا الحادث الواقع في هذا التاريخ بها[2].

– 6 –

وقد أخبرني الثِّقةُ على ألسنة بعض تجَّارِ النَّصارى القادمين علينا مدينةَ المرية من الشرق في هذا التاريخ، أنه حدث في البحر الذي بإزاء بعض سواحل التُّرك التي وقع في أهلها هذا الوباءُ، أنْ طفا السَّمَك فيها على وجه الماء مَيِّتاً منفسخَ الأجزاء، وأنه كانت تجتمع منه إلى الأرياف هنالك أمثالُ الظِّراب يسطع

1. تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 62 و).
2 - أي سنة 749 هـ. أنظر : تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 68 ظ).

نَتْنُها ويَخْبُث ريحها، وتقديرهم –على ما تَرْجم لي الثقة عنهم– أنَّ ذلك البحرَ نزلت فيه صواعق فأحرقت تلك الحيتان، وهو ظَنٌّ كاذب وتقديرٌ باطل، فإنّ نار الصاعقة يُطفئها الماء، ثم لو فرضنا أنّها كانت تغوص في البحر فإنها كانت تُحرِق من السمك ما أصابته ولا يجتمع مما كانت تصيب – ولو كثرت الصواعق– إلاّ المقدارُ الذي لا يُحَسُّ به فضلاً عن ذلك المقدار الكثير، بل الذي يظهر لي – والله أعلم– أنّه كلّما يتغيّر الهواء ويستحيل إلى العَفَن حتى يهلك فيه الحيوان المتنفّس، فكذلك يتغيّر الماءُ ويتعفّن حتى يَهلك عنه حيوان الماء لخروجه عن مزاجه الطبيعيّ في كيفياته، ولا سيّما ماء البطائح ومياه البُحيراتِ القريبةِ القَعْر الكثيرةِ الكُدورة إذا ركدت عليها الأهوية الوَبَئِية المتعفّنة وساعدتها الأشعة الفلكية المناسبة لذلك التغيُّر، وهذا النوع من التغيّر هو الذي حدث في مياه تلك البحار حتى هَلك عنها الحوت وطفا على وجه الماء[1].

[أبو عبد الله ابن بطوطة]

– 7 –

حكاية [الطاعون الأعظم في دمشق]

شاهدتُ أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين، من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه، وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرْغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة

1) تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 ورقة 53 و).

أيام ولا يطبخ أحد بالسوق ما يؤكل نهاراً، وأكثر الناس بها إنما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية كان آخرها يوم الخميس، ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة ما بين مُصَلّ وذاكر وداع، ثم صلُّوا الصبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المصاحف، والأمراء حفاة وخرج جميع أهل البلد ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً، وخرج اليهود بتوراتهم، والنصارى بإنجيلهم، ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون إلى الله بكتبه وأنبيائه، وقصدوا مسجد الأقدام وأقاموا به في تضرعهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد فصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم، فانتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد، وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر إلى أربعة وعشرين ألف في يوم واحد[1].

- 8 -

حكاية [الوباء المجتاح]

واتفق في تلك الأيام أن فقيراً يعرف بشيخ المشائخ، وهو ساكن في جبل خارج مدينة عَيْنتاب، والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له، وكان متجرداً عزَباً لا زوجة له، وقال في بعض كلامه: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن! فشُهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع أمره إلى ملك الأمراء، وأوتى به وبتلميذه الموافق له على قوله، فأفتى القضاة الأربعة وهم شهاب الدين المالكي، وناصر الدين العديم

[1] رحلة ابن بطوطة 1/ 325 – 326.

الحنفي، وتقيّ الدين بن الصائغ الشافعي وعز الدين الدمشقي الحنبلي بقتلهما معاً، فقتلا!

وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين بلغنا الخبر في حَلَب أن الوباء وقع بغزة ،وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الألف في يوم واحد! فسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان، ثم سافرت إلى دمشق ووصلتُها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة إلى مسجد الأقدام حسبما ذكرناه في السفر الأول فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربع مائة في اليوم!

ثم سافرتُ إلى عجلون، ثم إلى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة بن عم عز الدّين قاضي القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبه على الخطابة ألف درهم في الشهر[1].

[أبو الحسن البُنَّاهي]

- 9 -

قال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر أحمد بن أبي الله محمد ابن أحمد بن يوسف الهاشمي الطَّنْجَالِي المالقي المتوفى سنة 753 هـ[2]:

«وقد نجمت به بواكى الوباءِ الأكبر، وذلك صدْرَ عام 750 هـ، بعد تمنُّع منه وإبايةِ. فلم يوسعه الأصحاب عذراً في التوقُّف، وشرطوا له عونهم إيَّاه،

1) رحلة ابن بطوطة 4/ 179.

2) ترجمته في: المرقبة العاليا ص 155 – 160.

كالذي جرى للحارث بن مِسْكين بمصْرَ مع إخوانه في الله تعالى. وما كان إلاَّ أن ولي الطَّنْجاليُّ وحمى وطيس الطاعون الأعظم الذي حسبْتَ ظهوره في زماننا هذا أنَّه من علامات نبوَّة نبيّنـا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد ثبت عنه في الحديث الصحيح أنَّه قال لعوْف بن مالك في غزوة تبوك: «اعدُد ستّاً بين يدي الساعة: موتي؛ ثمَّ فتح بيت المَقْدِس؛ ثمَّ موتان يأْخذ فيكم كعِقاص الغَنَم؛ ثمَّ استفاضة المال؛ حتَّى يعطى الرجل مائة دينار، فيظلُّ ساخطاً؛ ثمَّ فتنة لا يَبْقَى بيتٌ من العرب إلاَّ دخلَتْه، ثمَّ هدْنة تكون بينكم وبين بنى الأَصْفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية إثنا عشر ألفاً».

والغاية هي الراية؛ وبنو الأَصْفَر هم الروم.

ولا يبعد أن تكون المهادنة المشار إليها هذه التي نحن فيها في الأندلس منذ اثنين وثلاثين سنة، أوَّلها هلاك مَلِك النصارى المسمَّى بالفُنْش بن هَرَّانْدُه بن شانْجُه، وهو بظاهر جبل الفَتْح حاصراً له، وذلك عاشر المحرَّم من عام 750هـ والى هَلُمَّ. وقَلَّما يعلم أنَّه جرى بين المِلَّتَيْن مثلها في طول المدَّة واستصحاب المسالمة. والله أعلم بالمراد من ذلك كلِّه، في الحديث الذي أوردناه، هل هو ما ذكرناه ونبَّهْنا عليه، أم غيره! وعلى كلِّ تقدير، والله تعالى يلطف بالساكن في هذه الجزيرة المنعطفة من البحر الزاخر، والعدوِّ الكافر، ويجعل عافية من بها إلى خير.

والعِقاص المذكور في الحديث هو داءٌ يصيب الغنم، فتموت بإذن الله.

والطاعون سُئِل عنه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: رجْس أرسل على بنى إسرائيل وقيل إنَّه أوَّل ما بدأ بهم في الأرض، ومات به منهم عشرون ألفاً.

وقيل: سبعون ألفاً في ساعة واحدة. وقيل إنَّهم عُذِّبوا به. وفي الحديث أيضاً سُئِل عليه السلام عن الطاعون؛ فقال: غدَّةٌ كغدَّة البعير، تخرج في المراق والآباط. قال أبو عمر: قال غير واحد: وقد تخرُج في الأيدى، والأصابع، وحيث ما شاء الله من البدن. وما أخبر به النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم حقٌّ وإنَّه الغالب. وقال الخليل: الوباءُ :الطاعون. وقال غيره: كلُّ مَرض يشتمل الكثير من الناس في جهة من الجهات، فهو طاعون. وعن عِياض: أصله القروح في الجسد؛ والوباءُ عموم المرض: فسُمّى لذلك طاعوناً، تشبيهاً بالهلاك. وقيل فيه غير ما ذُكر. وقد شَاهدْنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها. ومنها انتهى عَدَد الأموات في تلك الملحمة الوبائِيَّة بمالقَة إلى ما يزيد في اليوم على الألف، بقى بعد ذلك أشْهُراً حتى خلت الدُّور، وعمرت القبور وخرج أكثر الفقهاءِ والفضلاءِ والزعماءِ، وذهب كلُّ من كان قد شرط للقاضي أبي عبد الله إعانته على ما تولاَّه.

وكان من لطف الله تعالى بمن بقي حيّاً من الضعفاءِ بمالقة كونُ القاضي لهم بقيد الحياة، إذ كان قبل ذلك، على تبايُن طبقاتهم، قد هرعوا إليه بأمولهم، وقلَّدوه تفريق صدقاتهم؛ فاستقرَّ لنظره من الذهب، والفضَّة، والحلي، والذخيرة، وغير ذلك، ما تضيق عنه بيوتُ أموال الملوك؛ فأرْفَدَ جملةً من الطَّلَبة وفقراءِ البلدة، وتفقَّد سائر الغربة، وصار يعدُّ كلَّ يوم تهيئة مائة قبر حفراً، وأكفانهم برسم من يضطرُّ إليها من الضعفاءِ فشمل النفع به الأحياء والأمواتَ. بقي هو وغيرُه من أهل القطر على ذلك زماناً، مشاركةً بالأموال ومساهَمةً في المصائب والنوازل، إلى أن خفَّ الوباءُ، وقلَّ عَدَدُ الذاهبين بهِ والمُسالمين بسببه؛

فأخذ بالجدّ التامّ في صرف الأوقاف إلى إمكانها، ووضع العهود في مسمّياتها؛ فانتشع بذلك الفل، وذهب على أكثرهم القلّ. والله لطيفٌ بعباده » [1].

[أبو زيد بن خلدون]

- 10 -

وأما لهذا العهد وهو آخرُ المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه، وتبدّلت بالجملة...إلى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تَحيَّف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها، وبلوغ الغاية من مداها، فقلّص من ظلالها، وفلَّ من حدِّها، وأوهَنَ من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضملال أموالُها، وانتقض عمرانُ الأرض بانتقاضِ البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودُرِسَت السبلُ والمعالمُ، وخلتِ الديارُ والمنازل، وضعفت الدول والقبائلُ، وتبدَّل السَّاكنُ، وكأنّي بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسانُ الكونِ في العالَم بالخمول والانقباض، فبادر بالإجابة. والله وارث الأرض ومَن عليها، وإذا تبدَّلت الأحوالُ جُملةً، فكأنَّما تَبدَّل الخَلقُ مِن أصله، وتحوَّل العالمُ بأسره، وكأنَّهُ خَلقٌ جَديدٌ، ونشأة مُستأنَفَة، وعَالَمٌ مُحْدَث [2].

نُتْفَةٌ شعرية بعد إقلاع الطاعون عن المرية:

قال أبو الحسن ابن هذيل: قال الفقيه أبو جعفر ابن خاتمة: أنشدني شيخنا

---

1) المرقبة العليا ص 155 – 157.

2) مقدمة ابن خلدون ص 32 – 33.

أبو البركات ابن الحاج لنفسه، بعقب إقلاع الطاعون عن المرية عصمها الله:

[من الوافر]

شكرتُ الله شُكراً لم يُوَفِّي حقوقَ فَضائلِ الوَبَا المباركْ

فَكَمْ غسلَ السَّخائِمَ من قلوبٍ وعاوَنَ في حوائجنا وشاركْ(1)

أذكار وأدعية قيلت في زمان الوباء:

ومما يقال من الأحاديث والأدعية في زمان الوباء، وقد ذكره الشيخ قاضي الجماعة أبو عمرو بن منظور في كتابه المسمَّى بـ «وصية الناصح الأوَد في التَّحفُّظ من المرض الوافد إذا وَفَد» (2)، ووُجِدَ مكتوباً بخط أهل العلم بالأندلس، وكانوا يُوصُون به:

«اللَّهُمَّ سَكِّن فتنةَ صدمات قهرمان الجَبَرُوت، بألطافك النازلة من باب الملكوت، حتَّى نتَشَبَّثَ بأذْيالِ قدرتك، ونعتصم بك، ياذا القُدْرَة الكاملة والرحمة الشاملة، ياذا الجلال والإكرام».

ويُرْوَى في مكان:

«ونعتصمُ بك، ونعتصمُ بحبلك»، وفي مكان: «يا ذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة»، يجعل عوض ذلك: «يا ذا النعمة الشاملة والقدرة الكاملة».

فيجيء هذا الذكر ما نصُّهُ:

«اللَّهُمَّ سَكِّن فتنة صدمات قهرمان الجبروت، بألطافك النازلة من باب الملكوت، حتَّى نتشبَّثَ بأذيال قدرتك، ونعتصم بحبلك، يا ذا النعمة الشاملة والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام».

1) فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار ص 210 – 211، والبيتان أخلاً بهما شعره، صنعة د. عبد الحميد عبد الله الهرامة.

2) ص 7 – 8 (مخطوطة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني –رحمة الله عليه– بالرباط).

ومما قاله العلماء، أن يقال في رجاء رَفْع النَّازل:

« كفى بسماع الله وَاعياً لمن وَعَى، ولا مَرْمَى وراءَ مَرْمَى الله لِرَامٍ رَمى ».
وبعضهم يُبَدِّلُ لفظة «لمن وَعَى»، بأن يقول عوضها «لِمَن دَعَا».

ومما قاله بعض العلماء، أنه يقال في رجاء رَفْعِه أيضاً:

« بِخَفِيٍّ لطف الله، بلطيف صُنع الله، بجميل سَتر الله، دَخلتُ في كَنَفِ الله، اعتصمت بأسماء الله، توسَّلْتُ برسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ».

وقد يقال هذا الذكر على وجه آخر، وهو:

« بخفيٍّ لُطْفِ الله، بلطيف صنع الله، بجميل سَتْرِ الله، اعتصمتُ بأسماء الله، دخلتُ في كنفِ الله، وتوَسَّلْتُ برسول الله صلَّى الله عليه وسلم، اللهُمَّ لا ملجأً ولا مَنْجى منك إلاَّ إليك، ولا عاصِمَ منكَ إلاَّ بك، اللهمَّ اعصمني من هذا الأمر، إنك تقضي ما تشاء وتختار، وصلَّى الله على سيدنا محمد المختار ».

ويُروَى أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم علَّم بعض الصَّالحين في المنام، ما يدعو به لرفع الوباء، هذا الدُّعاء وهو: « اللهمَّ إني أعوذ بك من الطَّعن والطَّاعون، وعظيم البلاء في النفس والأهل والمال، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر مما نخاف ونحذر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، عدد ذنوبنا حتَّى تُغْفَر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر اللهمَّ كما شفَّعتَ نبينا، فامهلنا، واعمرُ بنا منازلنا، ولا تهلكنا بذنوبنا، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

التعريف بمقالة: «مقنعة السائل عن المرض الهائل»:

ذكرها ابن الخطيب في كتابه «الوصول لحفظ الصحة في الفصول»[1]، وسمّاها مقالة، يقول: «وقد كُنّا عند اضطراب الناس في أمر الطاعون العامّ، أملينا يوماً بباب السلطان على مَن به من الأطباء مقالةً نبيلةً، هي اليوم مشهورة شائعة».

وقد أهداها برسم أمير المسلمين سلطان مملكة غرناطة الغني بالله أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج بن الوليد بن نصر (755 – 793هـ).

وعندما كتب ابن الخطيب ترجمته بقلمه، وذكر تواليفه، في خاتمة كتابه: «الإحاطة في أخبار غرناطة»: 4 / 459، وسمها بـ «رسالة الطاعون»[2].

وتسمّى في نفح الطيب 7 / 99: «الكلام على الطاعون المعاصر»[3].

كتب ابن الخطيب مقالته هذه في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749 هـ، وفيها يصف ظروف ظهوره، وروعة انتشاره، وأعراضه الأولى، وسبل التحوُّط منها، وهذه الأعراض، يحدِّدها فيما يلي: «أعراضه أعراض الحمّى الوبائية، أو المحرقة بجميع خواصِّها، ثم نفث الدم، أو ظهور الخُرَاج فيما خلف الأذنين أو الإبطين أو الأرْبِيَّتين أو غير ذلك».

ثم يصف لنا طرق العلاج والوقاية منه، وما يجب لذلك من الأدوية والمشمومات، ويقول: «ولم يتقدَّم فيما اتَّصل بأولى الاطِّلاع من تواريخ

1) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 960 ج ص 278، ومخطوط الخزانة الحسنية رقم 77ص 76.
2) وكذلك أزهار الرياض 1/ 189 وجذوة الاقتباس 1/ 308.
3) وانظر أيضا: الإحاطة 4/ 462.

الأمم خبر وباء، بلغ مبلغه، من أخذه ما بين لابتَي المشرق والمغرب، واتصاله بالجزائر المنقطعة في البحر، واستئصاله أهل البيت والقرية، على سبيل واحدة، يتعلق بالنّاس تعلُّق النار بالحلفاء والهشيم، بأدنى مُلابسة من إلمام بمريض، أو بمباشرة ثوبه وآنيته، وفيما ظهر فيه نفث الدم أشد، وعند قبض النفوس أعظم، وذكر أنه في الأماكن الوبيئة أخفّ، وفي الضعفاء وأهل الشَّظَف أفتك، وبِصِنْفَيْ النساء والصبيان أمطى».

ويختتم ابن الخطيب مقالته بإيراد دعاء للاستغاثة من هذا الوباء.

وهذه «المقالة» أو «الرسالة»، قام بشرحها ابنه أبو محمد عبد الله بن الخطيب[1].

قال عنها أبو عبد الله الرَّصّاع: «وقد وقفت أيضاً على كلام [لأبي محمد][2] ابن الخطيب في شرح الرسالة، فذكر عن والده أنه ألَّف في الطّاعون تأليفاً يشتمل على خمسة أبواب، وذكر فيه قريباً ممّا ذكرنا، وذكر أنَّه كان ذلك في عام خمسين في القرن الثامن، وذكر في التأليف كلاماً حسناً، وذكر أنَّ الوباء الذي وقع في ذلك العام من أعظم الأوبئة، حتى ذكر أنه بلغه عن الثقاة أنه صُلِّيَ في فاس في اليوم على أربعة آلاف»[3].

ومن شرح هذه المقالة نقولٌ في كتاب الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية: ص 90 – 91، 144، 147، 163 – 164، 202.

---

1) ترجمته في: الإحاطة 3/ 435 – 439.
2) ما بين عضادتين سقط من المطبوع.
3) الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية ص 163 – 164.

وصف نسخ المقالة الخطية:

مقالة «مُقنِعة السائل عن المرض الهائل»، منها ثلاث نسخ خطية:

إحداها: نسخة نفيسة في مجموع حافل بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 (الغزيري 1780)، في عشر ورقات، من ورقة 39و إلى 49و، ومسطرتها ستَّة عشر سطراً، وكتبت بخط أندلسي، خالٍ من تاريخ النسخ، ولعل ناسخها هو محمد بن أحمد الودياشي[1].

وقد نشر المستعرب الألماني ماركوس جوزيف مولر M.J. Muller هذه المقالة مع ترجمة ألمانية في مجلة أكاديمية العلوم البافارية Bayerische akademie der wissenschaft، مجلد 6 سنة 1863 من (ص 1 إلى ص 35)[2]، ورمزت لها بحرف «ط».

والنسخة الثانية: محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، من رصيد جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق سنة 1974 رقم 418 الرباط - ميكروفيلم 68 - 530، ضمن مجموع يضم ثلاث رسائل طبية تتعلق بوباء الطاعون، ويقع في 18 ورقة، ومن جملتها:

1 - مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب (من ورقة 2 و إلى ورقة 6 ظ).

2 - تقييد في الوباء لسيدي محمد ميارة.

1) انظر: المجموع ورقة 115 ظ.

2) كما ترجمت إلى الإنجليزية على يد المستعرب الإنجليزي «م. ميرهوف»، انظر: مقال «لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين»: دراسة وبيبليوغرافيا» للدكتور حسن الوراكلي. مجلة كلية الآداب بتطوان س 2، ع 2، 1408 هـ - 1987م ص 127 (عدد خاص بندوة عن ابن الخطيب).

3 - تدبير حفظ الصحة عند فساد الهواء، وظهور الوباء على الاختصار والإيجاز.

وقد كتب هذا المجموع بخط مغربي، بقلم العلامة المؤرخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي، ورمزنا لها بحرف «ح».

والنسخة الثالثة: محفوظة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة محمد الخامس بالرباط رقم 101 مكل، ضمن مجموع كتب بخط مغربي، عارٍ من اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ومسطرته 16 سطراً في الصفحة الواحدة.

ويضم المجموع:

1 - ومما يجب اتقاؤه في الوباء (1 - 4).

2 - مقنعة السائل عن المرض الهائل (4 - 16).

3 - تدبير حفظ الصحة عند فساد الهواء، وظهور الوباء على الاختصار والإيجاز (16 - 20).

ورمزنا لها بحرف «ك».

وقد عثرنا على نقول واقتباسات من مقنعة السائل في مجموع مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 (من ورقة 111 ظ إلى ورقة 113 و)، كتبت بخط أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشى ثم الغرناطي.

ورمزنا لها بحرف «م».

واعتمدت النسخة الأولى أصلاً، فهي النسخة الأم والأقدم، وقابلتها بالنسخ الأخرى، وأثبت الفروق في مواضعها.

مقالة

مُقنِعَةُ السَّائل عن المرض الهائل

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب

السَّلماني الغرناطي

المتوفى سنة 776هـ/ 1374 م

[قال الشيخ الإمامُ العالمُ البحرُ[1] الكبيرُ الفَذُّ الوحيدُ إمامُ البلاغة لسانُ الدين ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن الخطيب][2]:

لمَّا[3] كان الحكمُ على الشيء فرعاً عن تصوّره، وَجَبَ أن نُبيِّن حقيقة هذا المرض.

فنقول: هو مَرَضٌ حادٌّ[4]، حارُّ السبب، سمّيّ المادة، يتصل بالروح بدءاً بوساطة[5] الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحيل رطوبات[6] إلى السمّية، وتتبعه الحُمَّى ونفث الدم، أو يظهر عنه خُرَاج[7] من جنس الطواعين[8].

وإذْ ذكرنا حقيقته، فلنذكر سببه، فنقول: له سبب أقصى: وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم، حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم، ويأخذه الطبيب مسلّما عنهم.

وسبب أدنى: وهو فساد الهواء الخاصّ بمحل ظهوره ابتداءً أو انتقالاً[9].

1) ط: البرّ.

2) ما بين معقوفين سقط من ح وك.

3) ح ك: ولمَّا.

4) هو الآخذ بشدَّة ولا يَفتر، فإما أن يقتل وإما أن يُقلع سريعاً إقلاعاً تاماً. انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء ورقة 155و.

5) ح، ك: بواسطة.

6) ح، ك: رطوباته.

7) هو في اللغة الوَرَم، وفي اصطلاح الأطباء: هو الوَرَمُ إذا اجتمعت مادّته المتفرقة في ليف العضو الوارم إلى تجويف واحدٍ وقيل ذلك يُسَمُّونه ورماً، انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء ورقة 147 ظ، وعمل من طب لمن حب لابن الخطيب (غير مرقم).

8) الطواعين: أورامٌ وخُراجاتٌ مسمومة تقتل سريعاً من ظهرت به. انظر: مفردات ابن الخطيب ص 65 رقم 306.

9) ح: وانتقالا.

وإذا ذكرنا سببه، فلنذكر أعراضه، فنقول:

أعراضُهُ أعراضُ[1] الحمّى الوبائية[2]، أو المحرقة[3] بجميع[4] خوّاصها، ثم نفث الدم، أو ظهور الخُرَاج فيما خلف الأذنين أو الإبطين أو [ك 4] الأَرْبِيَّتَيْن[5] أو غير ذلك.

وإذا ذكرنا أعراضه، فلنذكر العلاج، فنقول:

هو على [ح 2 و] ضربين: ضربٌ يُقصدُ به قصد التحرُّزمنه قبل وقوعه.

وينقسم قسمين: أحدهما استفراغ المادّة الزائدة، وإصلاح الأغذية باختيارها، معتدلةً مائلة إلى البرد والتغليظ، وإصلاح الأهوية والمجالس بالطيوب الباردة والرياحين.

وبالجملة؛ فبكلٍّ ما [ط 2] قرَّره المصنِّفون في ذلك في كنانيش[6] العلاج استعمالاً واجتناباً فلا معنى لإعادة ذلك.

والثاني: وهو الأجدى، اجتناب مظانِّ الفساد من المريض والميِّت، أو

---

1) سقطت من ح وك.

2) الحمّى الوبائية: حُمّى عفن عن فساد الهواء، وعلاماتها تكون مادية الظاهر مكربة الباطن يتبعها الاشتغال والنفس العظيم والعطش وجفوف اللسان والغشي وربما تبع البثر والاختلاف الذوباني والمراري يبرد الأطراف والكزاز. انظر: عمل من طبَّ لمن حبّ لابن الخطيب (غير مرقم).

3) الحمّى المحرقة: حُمّى لازمة شديدة الالتهاب، الأسباب: تحدث من احتراق الصفراء داخل العروق. العلامات العامة: هيجان الحرارة والعطش الشديد وسواد اللسان وتشويش الذهن والكرب والقلق. انظر: عمل من طبَّ لمن حبّ لابن الخطيب (غير مرقم).

4) ح، ك: خواصهما.

5) الأَرْبِيَّة: أصل الفخذ، وهما أُرْبِيَّتان، (التصريف للزهراوي)، والأَربيَّة (بالتشديد): أُصلها أربوية، وهي موضع طيِّ الفخذ. انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء ورقة 141 و.

6) كُنَّاش (ج كنانيش): وهو ما لم تتعدَّد أسفاره من الكتب العلمية، ويُطلق الكناش عند أطباء الغرب الإسلامي خاصَّة على كلِّ تصنيف يتضمَّن طرق علاج الأمراض وصفات الأدوية النافعة لكل علة دون دخول في مسائل التشريح ووظائف الأعضاء وما إلى ذلك من الجوانب العلمية النظرية. انظر: مفردات ابن الخطيب ص 68 رقم 319 والطب والأطباء في الأندلس الإسلامية 2 / 339.

ثوبه، أو آنيته، أو آلته، أو سكنى محلِّه، أو مجاورة البيت البيت[1] الذي فشا في أهله، ومتى دعت الضرورة إلى بعض ذلك كانت المخاطرة على[2] انحفاز وتوق وإمساك تنفُّس، والإكباب على مشموم يغلب ما يتحلَّلُ منه من غمامة سَوْرَة[3] السمّ[4]، وأخذ أعالي الرياح على محال الآفة من أعظم أسباب النجاة بإذن[5] الله.

وضربٌ يُقْصَدُ به علاجُ المرض بعد استقراره، وحقُّه الإحالة بعضُ[6] أطواره[7]، ففي كونه حُمَّى، بما قيل في الحُمَّى أو نفث الدَّم، فبعلاج ذات الرئة.

وفي كونه خُرَاجاً، بعلاج الخُرَاج من تسكين اللَّذْع[8]، والإنضاج والتفجير بالدواء، أو بصناعة اليد، وما يتشوَّف إليه من تقدمة المعرفة في هذا المرض، فعلى وجهين:

[كـ5] إمَّا بأعراض عامَّة؛ من الغَشْي[9]، وبَرْدِ الأطراف، وفساد / العقل، وغيرها من أعراض الهلاك.

أو بأعراض خاصَّة؛ تتبع البُثور[10] من ألوان، كالخضرة والطاؤوسية،

---

1) سقطت من ح وكـ.

2) ح: عن.

3) سَوْرَة: سورة الشيء: شدته وسلطانه. انظر: مفردات ابن الخطيب ص 103 رقم 577.

4) ح: السموم، كـ: السوم.

5) ح، كـ: بحول.

6) ح: بحسب، كـ: بحساب.

7) ح، كـ: أوطاره.

8) لذَاع، اللَّذْع: إحراق النار، يُستعار لكل ما يُحرق. انظر: مفردات ابن الخطيب ص 72 رقم 344.

9) الغَشْيُ: ضعف القلب، فإن أفرط هذا الضعف انحلَّ الروح الحيواني ومات الإنسان، انظر: التصريف للزهراوي.

10) البُثورُ: أورامٌ صغار في الجسد أو العين، وقيل هي الخُرَاجات الصغار، واحدها بثْرة وبَثَرَة. انظر: مفردات ابن الخطيب ص 38 رقم 106 ومفيد العلوم لابن الحشاء ورقة 143 و.

والأَسْمَانْجُونيَّة[1]، والسواد، أو أحوال تظهر من شهوات لبعض الفواكه والبقول، وهيئات حسبما قرَّره الفاضل[2] في كتاب الحقّ[3] وغيره، مما أَعْثَرَتْهُ عليه التجارب[4] في البُثُور، فلينظر[5] ذلك في مظانِّه، بحول الله.

وإذ قد فرغنا من هذا القدر، فلنذكر هذا الأمر في بدن[6] الإنسان [بما تقرَّر عندنا منه، فنقول: إذا ورد على بدنِ الإنسان][7] ابتداء لاستعداده وهو الأقل، أو انتقالاً[8] وعدوى وهو الأكثر، انفعل له [ح 2ظ] الروح إمَّا دفعةً أو بعد مصابرة [ط 3] بحسب الاستعداد، فسخن وحدثت الحُمَّى، وسرى في الشرايين[9]، وعمَّ الحرّ الغريب[10]، وفسدت الرطوبات المبثوثة في العروق، وغَلَى الدّم غلياناً[11] عصاريّاً قاذفاً بالرطوبات الفاسدة الطافية، وعند ذلك تبادرالطباع بقدرة بارئها سبحانه إلى دفع ذلك، فإن كانت مضطلعةً[12] به قاهرةً إيَّاه، وأعانتها هيئات قمريَّة فلكيَّة حسبما ذكره المتكلمون في البُحران، دفعتها بإذن الله على

---

1) ح: والأسمنجوية: والأَسْمَانْجُونيَّة: لون منسوب إلى الأسمانجون، وهو زهر الإيرسا، نبات معروف يسمى اللؤلؤ.
انظر: مفردات ابن الخطيب ص 34 رقم 74.
2) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (ت 428 هـ)، ولعل ابن الخطيب يقصد به كتابه: «ما يوصل إلى علم الحق»، انظر: مقدمة كتاب القصيدة المزدوجة لابن سينا ص «ك».
3) سقطت من ح.
4) ح، ك: التجاريب.
5) ط: فلينظر.
6) ح، ك: أبدان.
7) ما بين معقوفين سقط من ح وك بسبب انتقال النظر.
8) ح: وانتقالا.
9) ح، ك: الشرايين.
10) الحرارة الغريبة: هي الحرارة التي تولِّد الأمراض، انظر: التصريف للزهراوي.
11) بعدها في ح وك: أي كما تُغلَى العصارةُ من الخمر وغيرها.
12) ح: متطلعة.

سبيل البحَّارين، ومن مجاريها المتعارفة بَوْلاً أو بِرازاً[1] أو عرقاً، أو رُعَافاً[2] أو نَزْفاً[3]، فكان في ذلك النجاة، وإن قصرت عن هذا المقدار، صرفتها إلى المواضع[4] التي تندفع إليها موادّ الأعضاء الرئيسة [ك6] إذا أهمَّها أمْرُها، وقدرت على دفعها، وهي المغابنُ من خلف الأذن وتحت الإبط وأصل الفخذ، وكلّ بإزاء عضوه من دماغ وقلب وكبد، فإذا استقرَّ قرارها هنالك، إنْ فَضُلَ عن هذا القدر من المدافعة فضلٌ. وكان في نشاطها[5] وقدرها[6] من الروح سَعَةٌ حصرت[7] العدوى بتلك المواضع، وأدارت الحرّ[8] الغريزيّ[9] بها لقهر الموادّ السَّميّة، وشرعت في إنضاج المادَّة وتفجيرها أو تحليلها من قبل أن تجمع[10]، فوقع أيضاً الخلاص بهذه السبيل، وإن كانت الطباع غيرمضطلعة بهذا الأمر الوارد عليها، ولا قاهرة لتلك الموادّ السّميّة، فإمَّا أن تخور وتلقي

---

1) البراز: (بكسر الباء): فَضْلَة الإنسان التي يخرج بها، وعن الجوهري بفحوى كلامه: هو الخُرءُ نفسُه، فأما البَرَاز (بفتح الباء) فهو المتَّسَع من الأرض، والتَّبرُّز: الخروج إليه، ويكنّى بهما على ذلك المعنى كناية عربية.
انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء ورقة 143 و، ومفردات ابن الخطيب ص 38 رقم 180.

2) الرُّعاف: خروج الدم من الأنف خاصَّة، انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء.

3) النَّزْفُ: نُزِفَ دمُ الإنسان ونُزِف الإنسان كلاهما على ما لم يُسَمَّ فاعله: إذا سال دمه حتى تضعف قوته، فهو منزوف ونزيف، ونَزَفَ دمه (على البناء للفاعل) وأصله من نَزْف البئر، يقال: نَزَفت البئر ونَزَفها صاحبها؛ إذا أخرج ماءها كله، انظر: مفيد العلوم لابن الحشاء.

4) ح،ك : الموضع.

5) ح: نشطها.

6) ح، ك: ومدّدها.

7) ح، ك: حضرت.

8) ك: الحار.

9) الحرارة الغريزيَّة: معنى غريزية: طبيعية، والمراد بها الحرارة الجارية في جميع البدن من القلب في الشرايين، ويسمّيها الأطباء الروح الحيواني وبها تكون الحياة.
انظر: مفردات ابن الخطيب ص 94 رقم 513 ومفيد العلوم لابن الحشاء.

10) ح: تجتمع.

يدها[1]، فتقع الإنذارات الرديَّة والبحارين المهلكة، وتندفع تلك الموادّ إلى أقرب المواضع القابلة لها من محل الآفة، وهي الرئة لسخافتها وحركتها، وانفعالها واستعدادها لمباشرة الانتشاق(2)[ط 4] السمّيّ منذ أول الأمر، فورمت وظهرت فيها أعراض ذات الرئة، وفسدت أعضاءُ الصدر بالمجاورة، وظهر نفث الدم، وربما كان في الطباع فضل اضطلاع ومقاومة، فدفعت تلك [ح3و] المواد إلى المواضع الثلاثة المذكورة أو غيرها، بعد أن كادت تستقرّ بالرئة، ووقع الإحساس ببعض أعراضها، ثم كان تراجعها، بعد أن استنفدت وسعها، كليلة إلى مركزها، فاستأسدت [كـ 7] خلفها السَّوْرة السمّيّة، وظهر سلطانها، فقهرت الروح وأطفأته، إمّا مع بقائها أوراماً ظاهرة، أو مع غورها[3] واستبطانها فكان الهلاك على هذه السبيل.

هذا مقتضى الصناعة، وما يعطيه النظر بعد مراعاة مقدِّماتها من تشريح وغيره.

وإذْ فرغنا من هذا القدر، فنحن نتعقَّب ألفاظ هذا القول بما عسى أن يزيل إشكالاً(4) أو يجرّ فائدة.

فنقول: إن قيل ما معنى الاستعداد الذي تكرَّر لفظه في هذا الغرض، ووقف عليه كثير من مفهوم العدوى.

قلنا: الاستعداد تهيُّؤ شيء لقبول شيء بمناسبته ومشاكلته(5) له، حتى يلبس صورته على مسامحة في هذا التعريف، فإذا اتفق أن يكون المزاج

1) ح. ك : بيدها.
2) ح، كـ: الاستنشاق.
3) كـ : غوورها.
4) ح، كـ: شكّاً.
5) ح، كـ: بمناسبة ومشاكلة.

الشخصي قريباً في عرضه من مزاج الوارد السمّيّ مستعداً لقبوله قبله، ومال إليه من غير مدافعة[1] ولا ممانعة، كما يثبُ الزئبق على الذهب لشبهه بسيخه[2] ومناسبته إياه، فيغوص فيه، ويتّحد به، ويسري في الأمشاج والرطوبات بسريان الروح، فيفسدها إفساد السَّمُوم[3]، وإن اتّفق أن يكون بعيداً منه في عرض مزاجه، قاومه مقاومة الضّدية، ومانعه وتعاصى عليه قبوله، فعَلَى بُعْدِ ما بينهما في عرض المضادَّة، تكون الممانعة [ط 5] والموافقة.

وقد يكون هذا البُعد خلقةً للمزاج[4] [ك 8] أو يحصل بالعلاج، ولذلك ما حرص الأطباء عند تعرّفهم بالحدس طبيعة هذا[5] المرض، على الميل بالتدبير إلى طرف من مضادَّته يخرج عن سبيل الاستعداد، وهو جواب من ردّ دعوى العدوى والانتقال، بكون كثير[6] من المباشرين للمرض سلموا من مضرّته، مع الملازمة والقرب من [ح3ظ] العدد الكثير منهم، وهلاك آخرين ممَّن لم يباشروا أو باشروا مباشرةً يسيرةً، إذ لم يعلم الجمهور أنَّ علّة السلامة أو العطب بقدرة الله، إنّما هي الاستعداد أو عدمه، وأنَّ الناس في الاقتراب من نار تلك السّمية، بمنزلة الفتل[7] التي تقترب من النار المشعلة في السراج، وأنَّ ما كان[8] قريب عهدٍ بالإيقاد والحرارة والدخانية، أسرع به تعلّق النار لحينه.

---

1) ح: مراجعة.
2) ح: بسلخة، ك: بسنخه.
3) ك: السوم، والسَّمُوم: الحرّ المتفاوت، ومنه قوله تعالى ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ سورة الطور آية 25.
4) ح: المزاج.
5) ك: هل.
6) ك: كثر.
7) ح، ك: المفتول.
8) بعدها في ح وك: منها.

وهذا مثال المستعدّ الوافر الاستعداد، وما كان جافّاً غير قريبِ العهد بالنار[1] قبل الإيقاد بعد انفعال[2] في زمان أطول من الأول، وهو مثال الشارع في الاستعداد، وما كان من الفتل[3] بليلاً مشرباً مائيّة، اشتعل[4] بعد طول مصابرة ونشيش ومعاصاة، وبعد زمان تجفّ[5] فيه مائيته؛ فإما أن يتمّ اشتعاله[6] بطول الزمان وعمل دؤوب[7]، أو ربما غلب الفاعل لضعفه عنه، أو خمد الفاعل قبل مصابرته.

وهذا مثال البعيد عن الاستعداد، ومحلّه من المخاطرة ما علمت، والجهل بهذا المعنى غلَّطَ الناس، وعدَّد مصارعهم، ولله دَرُّ القائل[8]: [كـ 9] من السريع

ما يبلغُ الأعداء من جَاهلٍ ... ما يبلغ الجاهلَ من نفسه

[فإن قيلَ: كيف نُسَلِّمُ[9] دعوى العدوَى وقد[10]] وردَ الشرعُ بِنَفْي [ط 6] ذلك؟ قلنا: وقد ثَبت وجودُ العدوى][11] بالتَّجربةِ والاستقراءِ والحسِّ والمشاهَدَةِ والأخبار المتواترة، وهذه موادُّ البرهان.

---

1) سقطت من ح وكـ.
2) ح: انفعل.
3) ح، كـ : المفتول.
4) ح، كـ: استعمل.
5) ح: تخف.
6) ح، كـ: استعماله.
7) في الأصل الدؤوب.
8) البيت في روضة الإعلام (2 / 971) بدون نسبة، وفيه: «لن يبلغ».
9) م: تُسَلِّمُ.
10) ح، كـ: قل.
11) ما بين معقوفين سقط من ح وكـ.

وغيرُ[1] خَفِيٍّ عمَّن نظر في هذا الأمر أو أدركه هَلاَكُ من يباشرُ المريض بهذا المرض غالباً، وسلامةُ من لا يُبَاشِرهُ كذلك، ووقوعُ المرض في الدَّار والمحلَّة لِثوبٍ أو آنيةٍ حتَّى إنَّ القُرْطَ أتْلَفَ مَن عُلِّقَ بِأذُنِه، وأباد البيتَ بأسْرِه، ووقُوعُهُ في المدينة في الدارِ الواحدةِ ثم اشتعالُهُ منها في أفْذَاذِ[2] المُباشرين ثمَّ في جيرانهم وأقاربهم وزُوَّارهم خاصَّةً حتَّى يتَّسع الخَرْق.

وفي مُدُنِ السواحل المُسْتَصْحَبَة حَال السَّلامة إلى أن يَحُلَّ بها في البحر من عُدوةٍ أخرى قد شاعَ عنها [ح 4 و] خبرُ الوباء رجلٌ مُتوفٌّ[3]، فيكونُ تاريخ ظهور المرض بها[4] مُقارناً لحلوله، وسلامة الكثير ممَّن أغْيَا[5] في التوحُّش كالزَّاهد ابن أبي مَدْيَن[6] بمدينة سلا، وكان من القائلين بِالعَدْوَى، وقد تزوَّد لمدَّة، وبنى بابَ منزله على أهله وهم كثيرون، وفَنِيت المدينةُ، ولم يُرْزَأ نَسمةً واحدةً بطول تلك المدَّة.

وتواترت الأخبارُ بسلامة أماكن لا تطأها الطرق، ومنقطعة[7] عن النَّاس، ولا أعجب لهذا[8] العهد من سجن الأسرى من المسلمين- أنقذَهُمُ الله- بدارِ

1) ح: والغير.
2) ح، ك: أفراد.
3) ح، ك: مؤرب، وفي الأصل: موفّ.
4) ح، ك: منها
5) ح، ك: أغنيا، وأغْيَا في التوحش: بلغ الغاية في الخلوة والابتعاد عن الناس.
6) يقصد ابن الخطيب هنا، الزاهد أبا الحسن محمد بن عبد الله ابن أبي مَدْيَن (من أهل القرن الثامن الهجري). من بيت أبي مَدْيَن الشهير على عهد بني مرين، سار على سَنَن ابيه في خدمة السلطان، وحاكاه في بذل العطايا، ولم يحد عن تلك السجايا، وأصل بيته من قصر كتامة، وابوه أول من نجم منه في ملوك بني مرين.
وصفه ابن الاحمر بالتقوى والزهد، وقد أدركه، غير أنه لم يذكر شيئاً عن تاريخ ميلاده أو وفاته. انظر ترجمته في: نثير الجمان ص 255 وجذوة الاقتباس 1/ 232.
7) م: منقطعة.
8) ح، ك، م، في هذا.

صَنْعَةِ إشبيلية[1]، [ك 10] وهم أُلُوفٌ، لم يُصِبْهُم الطاعون، وقد كان[2] يستأصلُ المدينة.

وصَحَّ النقلُ بسلامة أهل العمُودِ[3] والرَّحَّالينَ من العرب بإفريقية وغيرها لعدم انحصار الهواء وقِلَّة تَمَكُّنِ الفَسادِ منه.

وفي هذا الباب وارتكاب اللِّجاج فيه أَلْحَمَ في النَّاسِ سيف الطاعون، وسَلَّطَ اللهُ عليهم من بعضِ المُفْتِينَ مَن اعْتَرَضَهُمْ بالفُتْيَا اعتراض [ط 7] الأزارقة من الخوارج للنَّاس بالسيوف، فَسَالَتْ على شَبَا[4] أقلامهم من النفوسِ والمُهَجِ ما لا يَعلمُهُ إلاَّ من كتب عليهم الفَنَاء[5] بسببهِ سُبحانَهُ، وإن كانَ بريءَ القَصْدِ من المَضَرَّةِ وقوفاً مع ظاهر لفظ الحديث.

ومن الأصول التي لا تَجهَل أنَّ الدليل السَّمْعِيّ إذا عارضه الحِسُّ والمشاهدَةُ لزِم تأويلهُ، [والحقُّ في هذا تأويله][6] بما[7] ذَهَبَ إليه طائفةٌ ممَّن أثبتَ القولَ بالعَدْوَى.

وفي الشَّرع مُؤَنَّسَاتٌ عديدة كقوله: (لا يُورَد مُمْرِضٌ على مُصِحّ)[8]، وقول

---

1) دار الصنعة : هي دارٌ تكون للفرجة والزيارة، يُبالغ في نقشها وتزيينها.

2) م: كَادَ.

3) لعله يقصد أهل العمد (جمع عماد)، أي وَتَدُ الخيمة، وبذلك يكون المقصود: أهل الخيام.

4) شَبَا جمع شَبَاة؛ يريد على أطراف أقلامهم.

5) م: كتب الفناء عليه.

6) ما بين معقوفين سقط من ح وك.

7) ح، ك: مما.

8) قال العربي المشرفي: «ومن جهة أخرى ثبت في الصحيحين أيضاً قول الرسول صلَّى الله عليه وسلم: «لا يُورَدُ المُمْرِضُ على المُصِحّ»، والمُمْرِض: من له إبل مَرْضَى، والمصِحُّ: من له إبل صِحَاح». انظر: أقوال المطاعين في الطَّعن والطَّواعين (غير مرقم).

الصَّاحِب: « أفِرُّ من قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِه »[1]، وليس هذا موضع الإطناب في هذا الغرض.

والكلامُ في القول بالعَدْوَى أو بعدمها شرعاً، ليس من وظائف هذا الفن، إنّما جرى مجرى الجمل المعترِضَة والمُثل، وله تَحقيقٌ في مَحَلِّه.

وبالجملة فالتَّصَامُمُ عن مثل هذا الاستدلال زَعَارَةٌ[2] وتَصَاقُرٌ على الله، واسترخَاصٌ لنفوسِ المسلمين.

وقد وقف قومٌ من أهل الوَرع بالعِدْوَةِ[3] إلى الناس مُسْتَقِيلين[4] مُشْهِدِين على أنفسهم بالرجوع عن الفتوى بذلك تَحرُّجاً من تسويغ الإلقاءِ باليَدِ [ك 11]، [ح 4 ظ] إلى التَّهْلُكَة، عَصَمَنَا اللهُ من الخَطَل ووفَّقَنا في القولِ والعَمَل][5].

إن قيل ما عندكم في أصل[6] هذا الوبَاء، ومُذْكَمْ[7] ظهر في الأرض، قلنا: هذا الواقع ابتدأ بأرض الخِطا[8][ط 8] والصين في حدود عام أربعة وثلاثين

---

1) رُوي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه أمر رؤساء الأجناد بالامتناع عن دخول الشام، حينما علم بوقوع وَباء فيها. فقال له أبو عبيدة بن الجرَّاح: أفِراراً من قَدَرِ الله؟ فأجابه عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة. نعم نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله.
انظر: أقوال المُطاعين في الطَّعْن والطَّواعين للعربي المشرفي الغريسي (غير مرقم).

2) الزَّعَارَةُ: سوء الخُلُق.

3) العُدوة أو العِدوة: أرض المغرب.

4) م: مستقلين.

5) بعده في م: انتهى ما تيسَّر تقييده منه، وفي حاشية «ط»: وقفت لبعض من صنَّف في الوباء على ما معناه أنَّه لا ينكر العدوى إلاَّ أحدُ رجلين: إمَّا منافق الطبع يقول بلسانه ما لا يعتقد بقلبه، وإما جاهل ما حضر وباء قط.

6) ح: أهل.

7) ح: ومتى.

8) وهي بلاد الصين.

وسبع مائة، حدَّث بذلك غير واحد ممَّن يوثَقُ به من أولي الرحلة والجَوَلاَن[1]، كالشيخ القاضي الحاج أبي عبد الله ابن بطوطة وغيره[2]، قالوا: بجيف كثيرة أُجلت عنها حربٌ بتلك الجهة، فتعفنت بعد أن تقدّمها بذلك الإقليم حريق نار أتى على النجم والشجر، فيما يناهز عشر مراحل، ففسد الهواء، وتعاضدت الأسباب القريبة بالأسباب القصوى، وفشا في الخلق المُوتان والوباء الغريب الذي من [شأنه و][3] خوَاصّه السعي والانتقال والدبيب فيما يجاوره من الأرض البعيدة عن عرض البلد المُورَّب[4]، وظهر تعلقه بالمستعدِّين مع سلامة الهواء إلى أن تكثر الآفات في الأماكن[5] المتعددة من البلد، فيفسد ما بينهما[6]، ثم يتصل

1) بعدها في ح وك: في الأرض.

2) لم يرد هذا النص في رحلة ابن بطوطة، واتفق أن صادفه هذا الوباء المجتاح أثناء عودته إلى المغرب. يقول: «وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين [وسبعمائة] بلغنا الخبر في حَلَب أن الوباء وقع بغزة، وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الآلاف في يوم واحد، فسافرت إلى حمص، فوجدت الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان، ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام، وخرجوا يوم الجمعة إلى مسجد الأقدام حسبما ذكرناه في السفر الأول، فخفَّف الله الوباء عنهم، فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربع مائة في اليوم، ثم سافرتُ إلى عجلون، ثم إلى بيت المقدس، ووجدتُ الوباء قد ارتفع عنه».
انظر: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار4 / 179.
وقال ابن خاتمة: «وقد اختلف الأمر في مبدإ هذا الحادث من أين ابتدأ ظهوره، فذكر لي الثقة عن بعض تجار النصارى القادمين علينا بالمرية، أن ابتداءه كان ببلاد الخطا، وبلاد الخطا بلسان العجم هي بلاد الصين، وبلاد الصين هي من أول المعمور من الأرض من جهة المشرق، وأنه مازال ينتشر من بلاد الخطا بما والاها إلى أن اتصل... بريف الأندلس، فشمل بلاد أرغون برجلونة وبلنسية وغيرهما، وعمَّ أكثر مملكة قشتالة حتى انتهى إلى إشبيلية من أقصى المغرب...وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من أرض إفريقيا إلى ما يلي المغرب».
انظر: تحصيل غرض القاصد ورقة 57 و- 57 ظ.

3) ما بين معقوفين سقط من ك وح.

4) ح: المُوَفَّ. والمُوَرَّب: المورب هو الموضوع على التَّوْريب، وهو الميل والتحريف بين الطول والعرض.
انظر: مفردات ابن الخطيب ص 79 رقم 393.

5) ح، ك: بالأماكن.

6) ح، ك: بينها.

الفساد حسبما قدَّمنا ، وشمل على هذه الوتيرة أكثر المعمور فحزر ما هلك من نوع الإنسان به في هذا الوقت المحدود بسبعة الأعشار، ولم يتقدّم فيما اتصل بأولى الاطِّلاع من تواريخ الأمم خبر وباء، بلغ مبلغه، من أخذه ما بين لابَتَي[1] المشرق والمغرب، واتصاله بالجزائر المنقطعة في البحر، واستئصاله أهل البيت [كـ 12] والقرية، على سبيل واحدة، يتعلَّق بالناس تعلّق النار بالحلفاء والهشيم، بأدنى ملابسة من إلمام[2] بمريض، أو بمباشرة[3] ثوبه وآنيته، وفيما ظهر فيه نفث الدم أشدّ، وعند قبض النفوس أعظم، وذكر أنه في الأماكن الوبيئة[4] أخفّ، وفي الضعفاء وأهل الشَّظَف أفْتَك، وبصنفَي النساء والصبيان أمطى، وقد تقدَّم به إنذار طائفة ممَّن عُني بتعديل القرانات الانتقالية وفصّل أحوال [ط 9] المدائن التي طوالعها معروفة في الأخذ بحظوظها[5] من منحسة[6] [ح 5 و] بحسب[7] أدلتها من نصبة القِران، فلم يبعدوا عن الإصابة قولنا في حدّه مرض حادّ حارّ السبب تحرّز من الحادّة غير الحارّة كالسكتة والتشنّج[8]، قولنا سمّيّ المادّة، تحرّز من غير السُّمّيّ ممّا تحمل الطباع أمره على التراخي، فلا يظهر منها الخور والاضطراب المعتاد في طرق السموم، وذكر المادة[9] تحرّز من غير

1) ح: لبتي.
2) ح، كـ: انمام.
3) ح، كـ: بمريضه أو مباشرة.
4) ح: المدنية، ط: الوبئية.
5) ح، كـ: بخطوطها.
6) ح، كـ: منحسته.
7) كـ: بحساب.
8) التَّشنُّج: الالتواء والتقبض.
انظر: مفردات ابن الخطيب ص 110 رقم 640.
9) سقطت من ح وكـ.

المادّي كالحرِّ الحادث عن لهيب النار والشمس.

قولنا: تتصل بالروح بدءا تحرُّزٌ ممّا يتّصل بوساطة[1] عضو إلى القلب.

قولنا: فيفسد الدم، تحرُّزٌ ممّا يسخِّن الروح ولا يُعفِّنُ[2] الدم من الحميات البَلْغمية في المادّي واليومية في غيره.

قولنا: في سببه النجومي، يأخذه الطبيب مُسلَّما من صاحب ذلك الفن بخروجه[3] عن الموضوع، إذ هو من غير موضوع الطبيب، فإن تكلَّم فيه حيث صناعة [كـ 13] الطب، كان مخلطاً.

قولنا: فساد الهواء الخاصّ، نعني به هواء البيت الذي يصيبه، ثم هواء القرية مثلاً عند استحكامه مع سلامة ما يجاوره تحرُّزاً من فساد الهواء العامّ، لوجود السلامة في المجاور، ولو كان فساداً عامّاً لبحر الهواء كما يفسد بحر الماء في الغُدُرِ[4] التي يحتال فيها على طفو السمك، لم يقع ذلك.

إن قيل ذكرتم أن اللحم الغُددي الذي في الأرِبيَّتَيْن[5] معدّ[6] لما يندفع من الكبد وأكثر ما يظهر الخراج بهما في هذا المرض، وهو قلبيٌّ كما ذكرتم، قلنا: إنّما نسبته للقلب بعلاقة سببه بالرّوح أوّلاً، ثم تعمّ بلواه الأعضاء الرئيسة، وربّما دفع القلب الموادّ إلى ما تحت الإبط ما لم تكن المادّة كهذه، وإمّا في [ط

1) ح، ك: بوسامة.
2) ح، ك: ولا يعقد.
3) ح: لخروجه.
4) ح: الغدير، وهو مفرد الغُدُر.
5) ح: الأرنبيتين.
6) ح، ك: معداً.

10] مثلها فلو وجدت الطباع مدفعاً أبعد من ذلك في أسفل(1) البدن لاستجمعت(2) في دفعها عليه(3).

إن قيل: لمَ أطلقتم القول بالمضادّة على الحرّ(4) الغريزيّ والحرّ(5) السّمّي الغريب، وهما تحت جنس الحرّ.

قلنا: المضادّة تقع تحت الجنس الواحد، فحرارة [ح 5 ظ] النار تضادّها حرارة الشمس، والسراج السليم المزاج يُضادُّه السراج الفاسد المزاج فيطفئه.

إن قيل: لمَ كان ما ينفث فيه الدم أقبل للعدوى من غيره؟

قلنا: لكونه أشدّ من غيره، ولذلك لا تقبل البُرء، ولمناسبة التنفّس للتنفس في باب الاستعداد، ومناسبة الرئة المَوُوفَة(6) للرئة القابلة [ك 14] المستعدّة ويُبيّنُه(7) من الكلام الشعري الخارج عن هذا الغرض، قول الواعظ:الكلامُ إذا خرجَ من القلب دخلَ في القلب، إلى ما اختصّت به الرئة من قبول العدوى في السّلّ وغيره.

إن قيل: لمَ كانت العدوى عند خروج الروح أشدّ؟

قلنا: لاقتلاع جرثومة الروح المتناهى الآفة الذي لبس صورة المزاج السّمّي، وربما تتخلّل(8) معه أجزاء بالغة غاية الانحراف، كانت تقاومها الحياة

---

1) ح، ك: أسافل.
2) ح: لاجتمعت.
3) ح، ك: إليه.
4) ح: الحار.
5) ح: والحار.
6) ح، ك: المؤءوفة، ط: الموْفة.
7) ح، ك: ويشبه.
8) ح، ك: تتحلل

بعض مقاومة ببقايا المزاج المختلف.

إن قيل: ما بالُه في المواضع الوبيئة[1] أخفّ، قلنا: إن صدقَ الزعمُ فللأنَسَة من النفوس بالأهوية الخبيثة وتعوّدها المصابرة له والتعاهد[2] به، كالذي يحكى عن بعض الجواري اللائي يغذين بالسمّ بتدريج، ويُحتال بهنّ على الملوك.

إن قيل: لأي شيء يكرّر[3] وقوعه في أهل الشظف؟ قلنا: لأمور منها: إمكان المباشرة لمظانِّه[4] من المرضى والجنائز، والأثواب، والآلات، ومنها ضيق المساكن، والتراكم، وسوء التدبير وعدم التحفظ [ط 11] وقلّة التّيقظ لفُشُوِّ الجهل، وعدم العلم بهذه الأمور في طبقات اللفيف.

إن قيل: ما بالُهُ يتفاحشُ في النساء والصبيان؟

قلنا: لوفور الرطوبة التي هي مُتَعَلَّقُ الحرارة وبمنزلة الدُّهن لنار السراج.

وإلى هنا انتهى بنا الكلام بين ما هو في المقالة من باب الوجوب، وما هو من باب الكمال، ويشفع في [كـ 15] الجميع تقييده في [ح 6 و] ساعة إملاء من غير تفرّغ إليه، ولواهب العقل الحمدُ بلا نهاية [ط 12].

(انتهت المقالة المسمَّاة بمقنعة السَّائل عن المَرَض الهَائل تأليف الشيخ

---

1) ط: الوبئة، ح: الوبائية، كـ: الوبئية.
2) ح، كـ: والتعابه.
3) ح، كـ: يكثر.
4) ح، كـ: لمضائه.

الإمام العالم [البحر الكبير][1]، الفذّ الوحيد إمام البلاغة لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب قدَّس اللهُ تربته، ورفع في عليين رتبته، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً كثيراً[2])[3] [ك 16]، [ح6 ظ].

1) ما بين معقوفين سقط من ح.
2) ح: كثيراً كثيراً، انتهى.
3) ما بين معقوفين سقط من ط.

ضميمة

علماء أندلسيون أُقبِرُوا شهداء
بالطاعون الوبائي أو المرض الوافد
لعام 749 هـ/ 1348 م

1 – أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الأموي، المعروف بابن بُرْطَال[1]، قال أبو الحسن البُنَّاهي: «فتوفى بها [أي مالقة] أيام الطاعون الكبير، وذلك في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر من عام 750 هـ، خرجت جنازته في اليوم لليلة وفاته، صحبه ركبٌ من الأموات يزيد علَى الألف، منهم شيخنا المقرئ الوليّ أبو القاسم بن يحيى بن دِرْهَم، والأستاذ الواعظ أبو عبد الله أحمد المعروف بالقطّان رحمة الله عليهم».

وقال ابن الخطيب: «توفي رحمة الله، وعفا عنه، أيام الطاعون الغريب بمالقة، في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام 750 هـ، وخرجت جنازته في اليوم التالي، ليلة وفاته في رَكْبٍ من الأموات، يناهز الألف وينيف بمائتين، واستمرَّ ذلك مدة».

2 – محمد بن أحمد بن محمد بن عياض، من أهل بلّش، حفيد الإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى[2]، قال ابن الخطيب: «توفي معتبطاً به في الطاعون عام خمسين وسبعمائة فلم... الاعتباط به».

3 – أبو بكر محمد بن عُبَيد الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عُبَيد الله بن منظور القيسي المالقي، وأصله من إشبيلية[3]، قال أبو الحسن البُنَّاهي: «وتوفي ببلده مالقة، وقُبِرَ بها شهيداً بالطاعون، وذلك منتصف شهر صفر من عام 750 هـ».

---

1) ترجمته في: المرقبة العليا ص 148 وأوصاف الناس ص 128 والإحاطة 1/ 171 – 173.
2) الإحاطة (نصوص جديدة لم تنشر) ص 246 – 247.
3) ترجمته في المرقبة العليا ص 154 – 155 وأوصاف الناس ص 128 والإحاطة 2 /170 – 173.

4 – أبو بكر عبد الرحمان بن عبد الملك اليَنِشِّي، أصله من مدينة باغه[1]. قال ابن الخطيب: « توفي في الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة ».

5 – محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري، من أهل الجزيرة الخضراء[2]، قال ابن الخطيب: « توفي في الطاعون بسبتة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين وسبعمائة ».

6 – أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي، من أهل بِلِّش، ويعرف بابن المُرَابِع[3]، قال ابن الخطيب: « وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بِلِّش في أواخر عام خمسين وسبعمائة ودفن بها ».

7 – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم الأُمَيِّي المعروف بالقَطَّان، من أهل مالقة[4]، قال ابن الخطيب: « توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمائة، ودفن بجبانة جبل فَارُه، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته. وصلَّى عليه خارج باب قِنْتِنَالة وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح، أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم ».

وممن رثاه، الشيخ الأديب أبو الحسن الورّاد في قصيدة طويلة، منها: [من الطويل].

قَضَى نَحْبَهُ الأستاذُ وَاحِدُ عَصْرِه   فَكَادَ الأَسَى يقضي إلى الكُلِّ مِنْهُمُ
قَضَى نَحْبَهُ القَطَّانُ فالحزنُ قَاطِنٌ   مُقيمٌ بِأحنَاءِ الضلوعِ مُحَكَّمُ

---

1) ترجمته في الإحاطة 3/ 527 – 529.
2) ترجمته في: الإحاطة 3 /184 – 185.
3) ترجمته في: الإحاطة 3/ 421 – 432.
4) ترجمته في: أوصاف الناس ص 133 والإحاطة 3 /241 – 242.

8 – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن عامر ابن نصر بن حقاف السلمي، من أهل غرناطة، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقَوْنجي، منسوب إلى قريةٍ بالإقليم[1]، قال ابن الخطيب: « وفاته: بقرية قنجة خطيباً بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبع مائة، في الوباء العام، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه رضوانه ».

9 – أبو القاسم محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن فرتون الأنصاري، ويعرف بِالهَنَا[2]، قال ابن الخطيب: « ومات مَيْتَةً حسنة، صلَّى الجمعة ظهراً، وقد لزم الفراش ونَفَث دم الطاعون، ومات مُسْتَقْبِل القِبْلَة، على أتَمٍّ وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعمائة ».

10 – قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي، من أهل سبتة[3]، قال ابن الخطيب: « توفي أيام الطاعون العام ببلده ».

11 – أبو القاسم قاسم بن محمد بن محمد بن سليمان بن الجدّ الفهري، من أهل المرية، ويعرف بالورشدي[4]، قال ابن خاتمة: « توفي رحمة الله تعالى عليه في المرية بالطاعون الجارف بها في اليوم الخامس والعشرين لذي القعدة عام 749 هـ ».

وقال ابن الخطيب : « توفي في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعمائة ».

1) ترجمته في: الإحاطة 3/ 234 – 236.
2) ترجمته في: الإحاطة 3 /226 – 227.
3) الإحاطة 4 /267 – 268.
4) ترجمته في: درة الحجال 3 /275 – 276 رقم 1331 والإحاطة 4 /265 – 267.

12 – أبو القاسم قاسم بن يحيى بن محمد الزَّروالي المالقي، ويعرف بابن دِرْهَم(1)، قال ابن الخطيب: « توفي ببلدة مالقة خامس صفر من عام خمسين وسبعمائة في وقيعة الطاعون، توفي وآخر كلامه: رَزَقنا اللهُ عملاً صالحاً يُقربنا إليه زُلفَى، وجَعَلَنا ممن يمرُّ على عُقبَى الدنيا والآخرة مرور أهل التَّقوى ».

13 – أبو الحسن علي بن يحيى الفِزَاري، من أهل مالقة، ويعرف بابن البربري(2)، قال ابن الخطيب: « وفاته بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة ».

14 – أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن البَنَّا، من أهل وادي آش(3)، قال ابن الخطيب: « توفي في الرابع لشعبان من عام خمسين وسبعمائة مُغْتَبِطاً في الطاعون، لم يبلغ الثلاثين ».

15 – أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي(4)، قال ابن الخطيب: « توفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعمائة في وقيعة الطاعون العام، بعد أن أصابته نَبْوة من مخدومه السلطان أبي الحسن [المريني]، ثم استعتبه وتلطف به. وكانت جنازته مشهورة، ودفن بالزَّلاج من جبانات خارج تونس رحمه الله ».

1) الإحاطة 4/ 263 – 264.
2) الإحاطة 4/ 194 – 195.
3) الإحاطة 4/ 167 – 169.
4) الإحاطة 4/ 11 – 18.

وقال ابن خلدون: « ثم جاء الطاعون الجارف، فطوى البساط بما فيه، وهلك عبد المهيمن فيمن هلك، ودُفن بمقبرة سلفنا بتونس، لخُلَّةٍ كانت بينه وبين والدي رحمة الله، أيام قدومهم علينا »[1].

16 – محمد بن أحمد بن عبد الله العطار، من أهل المرية[2]، قال ابن الخطيب: « توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة ».

17 – أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكوني، أصله من جهة قُمَارِش، ويعرف بابن اللؤلؤة[3]، قال ابن الخطيب: « توفي مُعْتَبِطاً في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعمائة خطيباً بحصن قُمَارش ».

18 – أبو عبد الله محمد بن محمد بن محارب الصَّريحي، من أهل مالقة، ويعرف بابن أبي الجيش[4]، قال ابن الخطيب: « توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة ».

19 – أبو القاسم محمد بن علي بن محمد بن محمد بن خاتمة الأنصاري، من أهل المرية[5]، قال ابن خاتمة: « وتوفي في آخر أيام الطاعون العام بالمرية في الخامس شهر ربيع الأول سنة 750 هـ ».

وقال ابن الخطيب: « اعتبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمائة »[6].

1) رحلة ابن خلدون ص 74.
2) الإحاطة 3/ 186 – 187.
3) الإحاطة 3/ 180 – 181.
4) ترجمته في: الإحاطة 3/ 78 – 79.
5) ترجمته في: درة الحجال 2/ 86 – 88 رقم 526.
6) الإحاطة 2/ 491 – 493.

20 – أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللَّخمي[1]، قال ابن الخطيب: «توفي رحمه الله بغرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة في وقيعة الطاعون، ودفن بباب إلبيرة رحمة الله عليه».

21 – أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المُنَسْتيري[2]، قال أبو الحسن البُنَّاهي: «توفي في أوائل الطاعون النازل ببلده قبل عام 750 هـ. واحتمله طلبته إلى قبره، وهم حُفَاةٌ، مزدحمون على نعشه، نفعهم الله وإيَّاه بفضله».

22 – أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني[3]، قال المقَّري: «توفي رحمه الله سنة 749 هـ بتونس أيام الوباء العام».

23 – أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، قال ابن خلدون: «وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة»[4].

24 – أبو جعفر أحمد بن قاسم بن عبد الله الجذامي، من أهل المرية، وأصله من مرسية[5]، قال ابن خاتمة: «توفي رحمه الله بالمرية في الطاعون العام سنة 749 هـ».

25 – أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الأنصاري، من أهل المرية، ويعرف بالشدَّاد[6]، قال ابن خاتمة: «توفي في آخر الطاعون العام بالمرية في

1) ترجمته في :الإحاطة 2/ 266 – 269.
2) ترجمته في: المرقبة العليا ص 161 – 163.
3) ترجمته في: نفح الطيب 5/ 236 – 238 رقم 12 ونيل الابتهاج ص 404 – 405 رقم 534.
4) رحلة ابن خلدون ص 61.
5) ترجمته في: درة الحجال 1/ 133 – 135 رقم 164.
6) ترجمته في درة الحجال 2 / 88 رقم 527.

أوائل رجب الفرد سنة 750 هـ، ودفن خارج باب بجّانة، وهو آخر من مات بالمرية بالطاعون رحمة الله تعالى عليه وبركاته ».

26 – أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسّان القيسي الوادي آشي التونسي، ويعرف بابن جابر(1)، قال ابن خاتمة: « توفي بالطاعون العام بتونس آخر سنة 749 هـ ».

27 – سعد بن يوسف بن علي الرُّعَيني، من أهل المرية(2)، قال ابن خاتمة: « توفي بالطاعون الجارف بالمرية في آخر سنة 749 هـ ».

28 – أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التُّجِيبي اللُّوْرْقي، من أهل المرية(3)، قال ابن خاتمة: « توفي رحمه الله في المرية في الطاعون العام، إثر صلاة العصر من يوم السبت الرابع عشر لجمادى الأخيرة سنة 750هـ، وصلّى عليه عبد الله بن محمد بن عبد الملك الحميمي ».

29 – أبو زكرياء يحيى بن علي بن أحمد بن علي القيسي، من أهل المرية، ويعرف بابن زَرْقَالَة(4)، قال ابن خاتمة: «توفي بالطاعون العام بالمرية في يوم الثلاثاء الثالث لمحرم سنة 750 هـ».

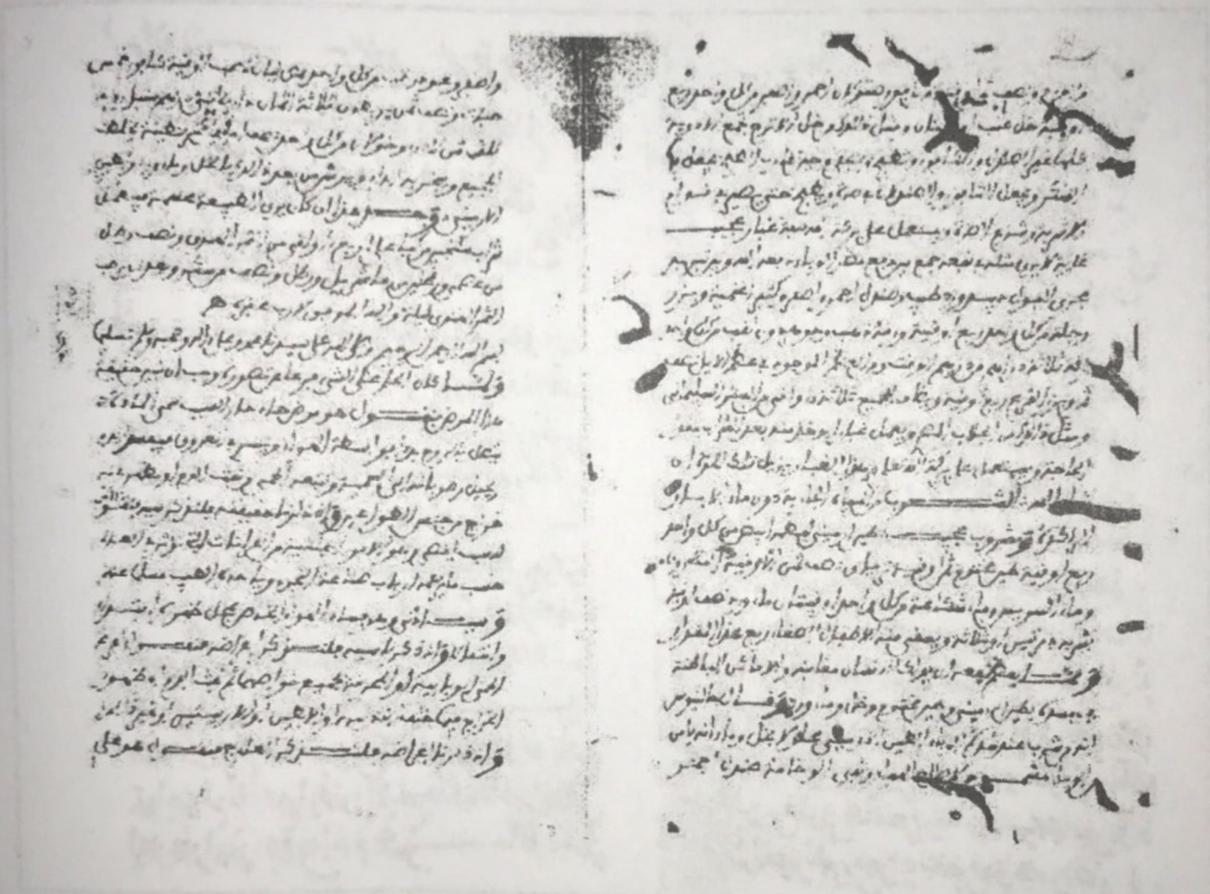
1) ترجمته في: درة الحجال 2 /102 – 103 رقم 535.
2) ترجمته في: درة الحجال 3 /291 – 292 رقم 1373.
3) ترجمته في: درة الحجال 3/ 292 – 295 رقم 1374
4) ترجمته في: درة الحجال 3/ 330 – 331 رقم 1446.

صــور خطّيّــة



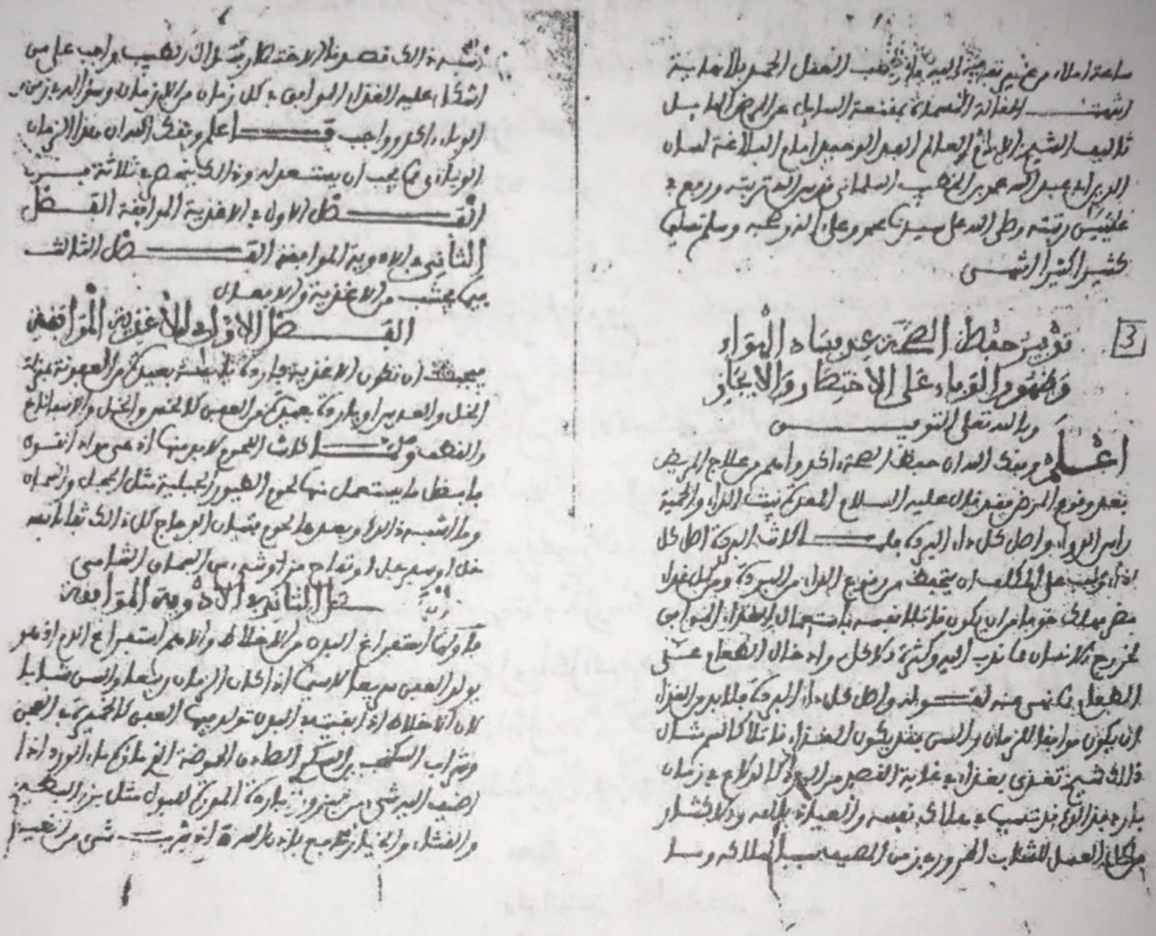
راموز الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب

(مخطوطة مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 " الغزيري رقم 1780 ")



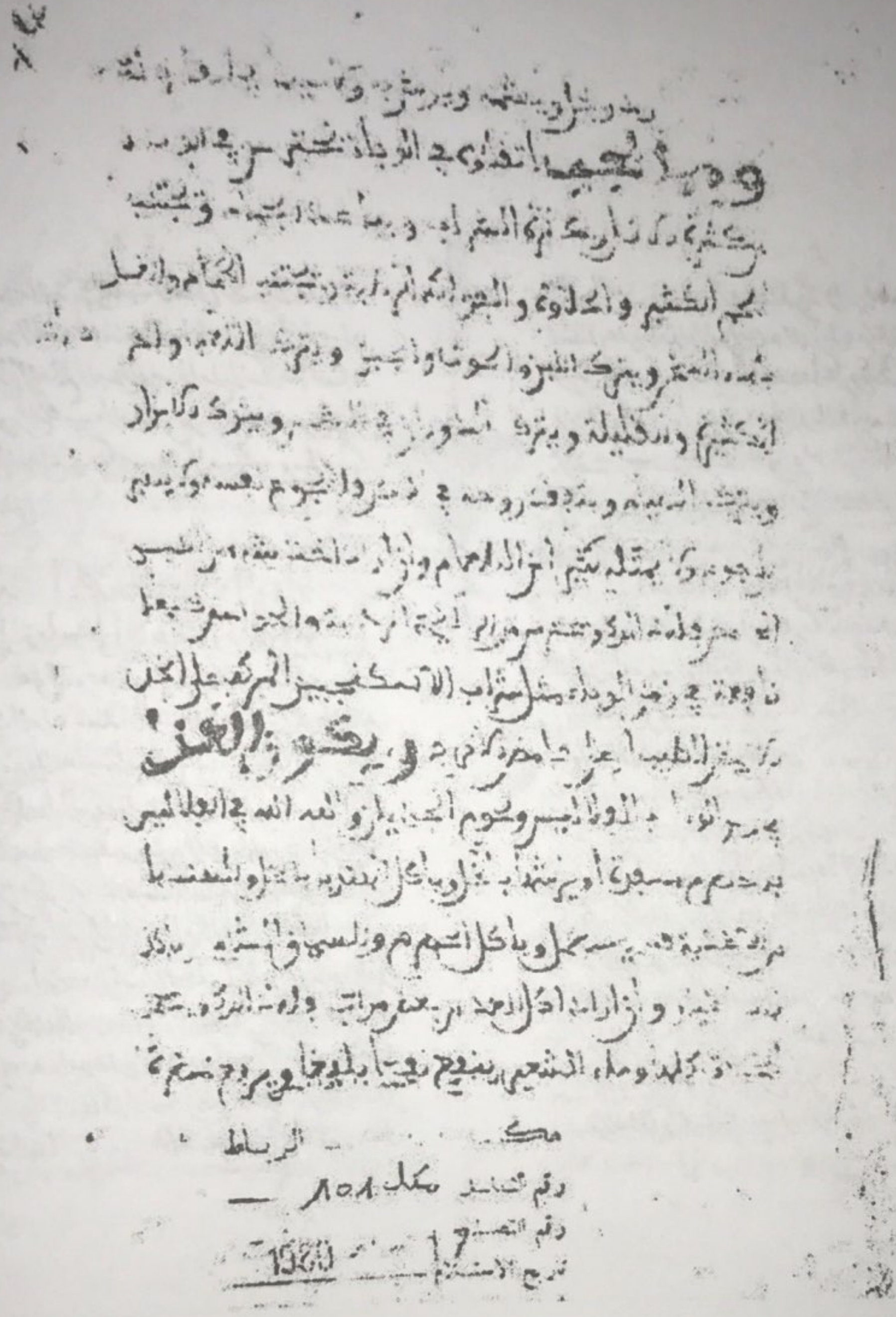
الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)



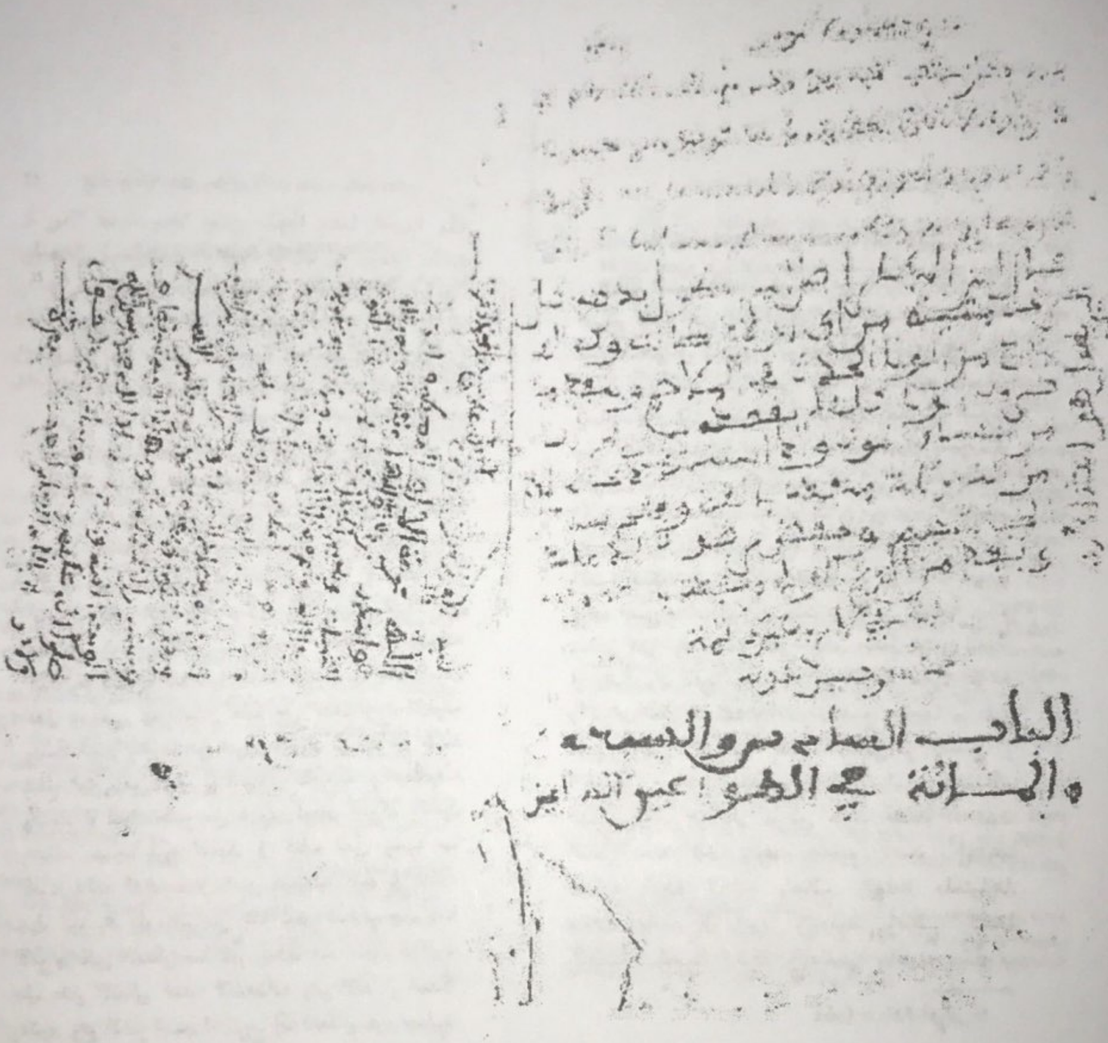
الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)



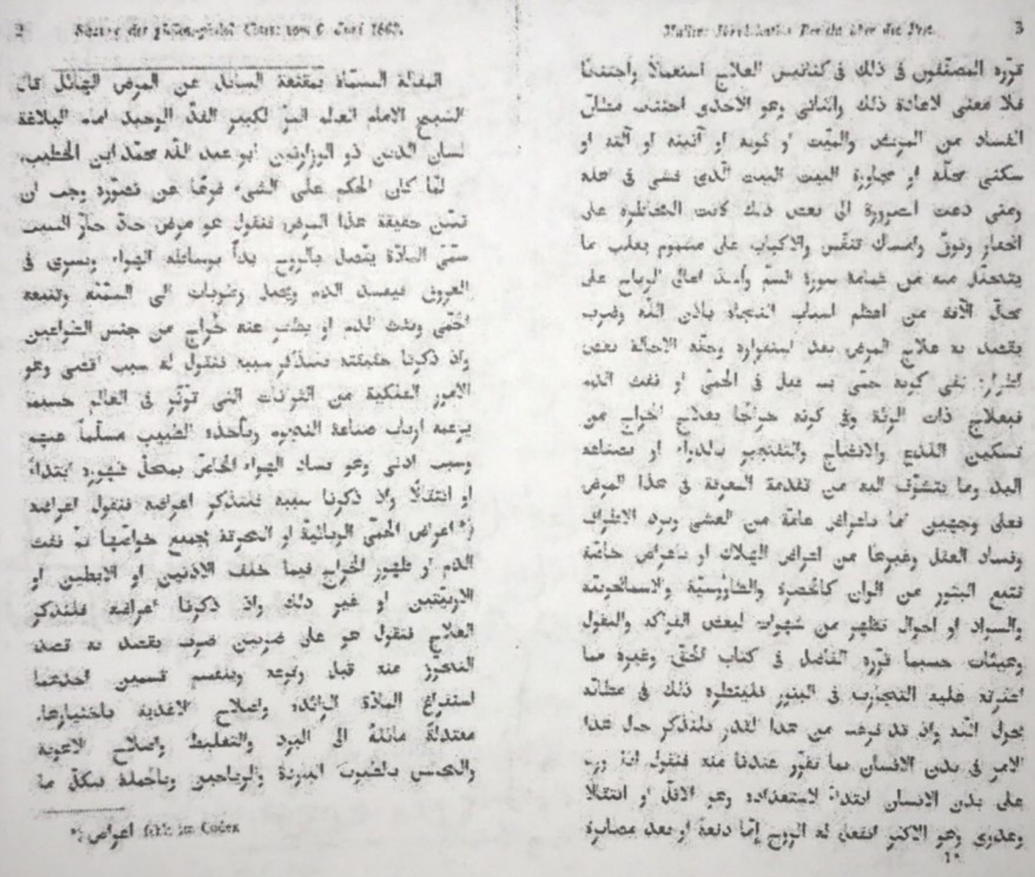
الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب

(مخطوطة كلية الآداب بالرباط)



الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب

(مخطوطة كلية الآداب بالرباط)



2 Sitzung der philosophisch. Classe vom 6. Juni 1863.

المقالة المسمّاة بمقنعة السائل عن المرض الهائل قال
الشيخ الامام العلامة السرّ الكبير القدر الوحيد امام البلاغة
لسان الدين ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد ابن الخطيب.
لمّا كان الحكم على الشيء فرعا عن تصوّره وجب ان
تبيّن حقيقة هذا المرض فنقول هو مرض حادّ حارّ السبب
سمّيّ المادّة يتّصل بالروح بدأ بوساطة الهواء ويسرى في
العروق فيفسد الدم ويحيل رطوبات الى السمّيّة وتتبعه
الحمّى ونفث الدم او يظهر عنه خراج من جنس الطواعين
واذ ذكرنا حقيقته فنذكر سببه فنقول له سبب اقصى وهو
الامور الفلكية من القرانات التي تؤثّر في العالم حسبما
يزعمه ارباب صناعة التنجيم ويأخذه الطبيب مسلّما عنه
وسبب ادنى وهو فساد الهواء الحاصر بمحلّ ظهوره ابتداء
او انتقالا واذ ذكرنا سببه فنذكر اعراضه فنقول اعراضه
(*اعراض الحمّى الوبائية او المحرقة بجميع خواصّها ثم نفث
الدم او ظهور الخراج فيما خلف الاذنين او الابطين او
الاربيّتين او غير ذلك واذ ذكرنا اعراضه فلنذكر
العلاج فنقول هو على ضربين ضرب يقصد به قصد
التحرّز منه قبل وقوعه وينقسم قسمين احدهما
استفراغ المادّة الزائدة واصلاح الاغذية باختيارها
معتدلة مائلة الى البرد والتغليظ واصلاح الاهوية
والحسّ بالطيب المبرّدة والرياحين وبالجملة بكلّ ما

*) اعراض fehlt im Codex

Müller: Ibnulchatîbs Bericht über die Pest. 3

تقرّره المصنّفون في ذلك في كنانيش العلاج استعمالا واجتنابا
فلا معنى لاعادة ذلك والثاني وهو الاحذر اجتناب مثالّ
الفساد من المريض والميّت او ثوبه او آنيته او آلته او
سكنى محلّه او مجاورة البيت الذي فشى في اهله
ومتى دعت الضرورة الى بعض ذلك كانت المحافظة على
الخمار ونوق والمسك تنفّس والاكباب على مشموم يغلب ما
يتحمّل منه من شمامة سورة السمّ وامدّ اعالي الرياح على
محلّ الآفة من اعظم اسباب النجاة باذن الله وضرب
يقصد به علاج المرض بعد استقراره وحقه الاحالة بعض
الشرار: نفى كونه حتّى به عمل في الحمّى او نفث الدم
فبعلاج ذات الرئة وفي كونه خراجا بعلاج الخراج من
تسكين اللذع والانضاج والتفجير بالدواء او بصناعة
اليد وما يتشوّف اليه من تقدمة المعرفة في هذا المرض
فعلى وجهين اما باعراض عامّة من الغشي وبرد الاطراف
وفساد العقل وغيرها من اعراض الهلاك او باعراض خاصّة
تتبع البثور من الوان كالخضرة والطاووسيّة والاسمانجونيّة
والسواد او احوال تظهر من شهوات لبعض الفواكه والبقول
وعيثات حسبما قرّره الفاضل في كتاب الحقّ وغيره مما
اعترته عليه التجارب في البثور فليتطلّب ذلك في مظانّه
بحول الله واذ قد فرغ من هذا القدر فلنذكر حال هذا
الامر في بدن الانسان مما تقرّر عندنا منه فنقول انّه يرد
على بدن الانسان ابتداء لاستعداده وهو الاقلّ او انتقالا
وعدوى وهو الاكثر انتفع له الروح إمّا دفعة او بعد مصابرة
١٠

الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (طبعة مولر سنة 1863)

12 Sitzung der philos.-philol. Classe vom 6. Juni 1863.

وقلة التيقظ لغشو الجهل وعدم العلم بهذه الامور في طبقات المغيث ان نيل ما باله يتفاحش في النساء والصبيان قلنا لوفور الرطوبة التي هي متعلق الحرارة ومقوله الدهن لنار السراج وان عنا انتهى بنا الكلام نحو ما هو في معالجة من باب الوجوب وما هو من باب الكمال وينفع في الجميع تقييده في ساعة املاء من غير تدوين الحد ولواحب تعطى الحمد ولا نهاية.

Ibnulkhatîb's Bericht über die Pest.

Da das Urtheil über eine Sache von der Vorstellung abhängt, die man sich davon macht, so wollen wir zuerst das Wesen dieser Krankheit bestimmen, und sagen: sie ist eine acute Krankheit, hitzig in ihrer Ursache, giftig in ihrer Materie, die zum Lebensgeist primär gelangt mittelst der Luft, in die Adern sich verbreitet, und das Blut corrumpirt, und gewisse Humore in giftigen Character verwandelt, auf welchen Fieber und Blutspeien folgt, und welche in Exantheme pestilenzialischer Art ausbricht.

Ihre Ursache ist 1) eine entferntere, nämlich bedingt durch Zustände der Himmelssphäre, z. B. bestimmte Conjunctionen der Gestirne, welche ihren Einfluss auf die Welt ausüben, wie es die Astrologen behaupten und die Aerzte als eine concedirte Sache nach ihrer Auctorität annehmen; 2) eine nähere, welche in der Corruption der dem Ort ihres Auftretens speciellen Atmosphäre, sei es von Haus aus, sei es durch Uebertragung, liegt.

Ihre Symptome sind die eines pestilenzialischen oder inflammatorischen Fiebers mit allen seinen Eigenthümlichkeiten, dann Blutbrechen oder Erscheinen von Pestbeulen hinter den Ohren, oder in den Achselhöhlen oder in der Leistengegend oder auch an anderen Gliedern.

Müller: Ibnulkhatîb's Bericht über die Pest. 13

Die Therapie ist doppelt 1) Prophylaxis; diese besteht a) in der Ausleerung der überflüssigen Materie und Verbesserung der Nahrungsmittel, indem man solche auswählt, die von jedem Extrem sich fern halten, und etwas zur Kühle und Verdichtung sich hinneigen, ferner in der Verbesserung der umgebenden Luft und der Zimmer durch kalte Wohlgerüche und Blumenblätter, überhaupt durch alles, was die Schriftsteller in den therapeutischen Compositionen vorschreiben, sei es, um es anzuwenden oder zu vermeiden, was wir also nicht zu wiederholen brauchen, b) und zwar vorzüglich in der Vermeidung der Localitäten, von denen man eine Corruption durch den Kranken oder Gestorbenen vermuthen kann, oder Kleider, oder Gefässe und Instrumente eines solchen, oder Aufenthalts in dessen Wohnung, oder Bezug eines Hauses in der unmittelbaren Nähe desjenigen, bei dessen Bewohnern die Krankheit sich verbreitet hat; ist man aber in der Nothwendigkeit diese Art Dinge nicht zu vermeiden, so wage man es nur unter der Bedingung einer baldigen Entfernung [1]) und mit Vorsicht, mit Einhaltung des Athems, und indem man sich auf einen wohlriechenden Gegenstand bückt, dessen aus ihm sich entwickelnde Duftwolke den Anfall des Contagiumgiftes überwältigt; überhaupt sich ober dem Wind der Plätze sich zu halten, die angesteckt sind, ist eine der hauptsächlichsten Ursachen der Rettung.

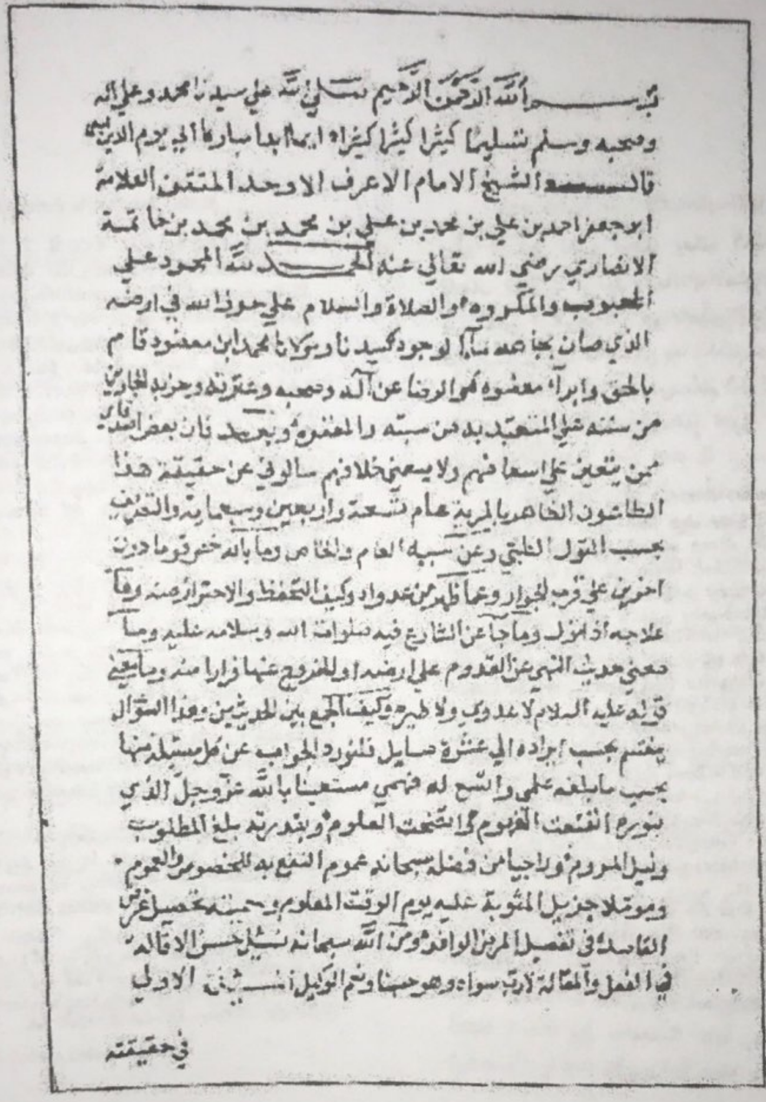
2) Die eigentliche Behandlung der Krankheit, wenn sie eingetreten ist; sie besteht in der Zurückdrängung eines der Symptome: ist es Fieber, so muss man die Mittel anwenden, die beim Fieber indicirt sind: ist Blutbrechen da,

---

(1) Die Form نفوذ findet sich in den Lexicis nicht, auch führt sie der Scholiast zu Hariri pag. 14 und ۲۳٤ (1. Reinaud et Derenbourg) nicht an. Hr. Dozy hat sie aber bereits nachgewiesen, Abdul-wahid pag. ۲۲۲ und Abbadid II 10, cf. 256.

الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

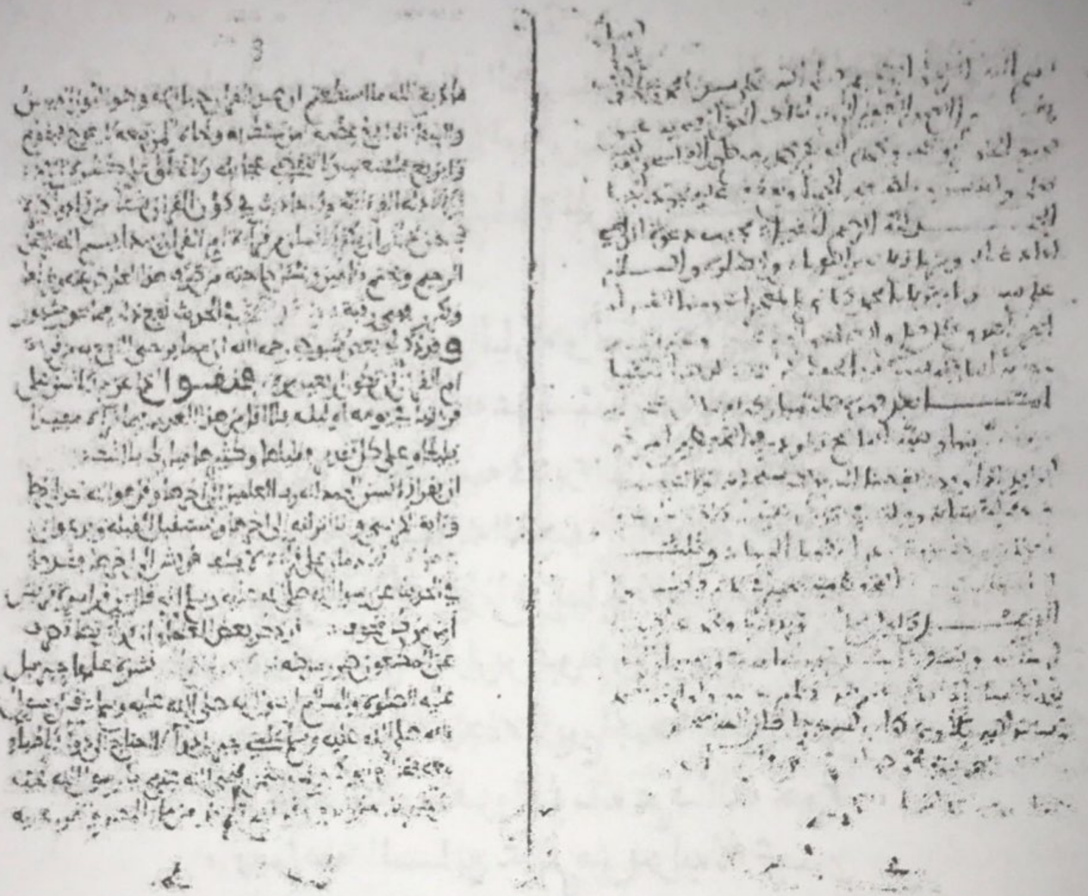
لابن الخطيب (طبعة مولر سنة 1863)



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا كثيرا دائما ابدا متباركا الى يوم الدين
قال الشيخ الامام الاعرف الاوحد المتقن العلامة
ابو جعفر احمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن خاتمة
الانصاري رضي الله تعالى عنه الحمد لله المحمود على
المحبوب والمكروه والصلاة والسلام على محمد رسول الله في ارضه
الذي صان بجاهه سماء الوجود كسيدنا ومولانا محمد ابن مسعود قام
بالحق وابراء معشوه فما ارضنا عن آله وصحبه وعترته وحزبه الجاري
من سنته على المنهج بدءا من سبقه والمعذرة وبعد فان بعض اهل
ممن يتعين على اسعافهم ولا يسعني خلافهم سالوني عن حقيقة هذا
الطاعون الظاهر بالمرية عام تسعة واربعين وسبعمائة والتعرف
بحسب القول الطبي دون سببه العام والخاص وما بالدخول وما دون
احتوى على قرب الجوار وعما ظهر من تعدد وكيف التحفظ والاحتراز منه وما
علاجه اذا نزل وما جاء عن الشارع فيه صلوات الله وسلامه عليه وما
معنى حديث النهي عن القدوم على ارضه او الخروج عنها فرارا منه وما معنى
قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة وكيف الجمع بين الحديثين وهذا السؤال
ينقسم بحسب ايراده الى عشرة مسايل فلنورد الجواب عن كل مسألة منها
بحسب ما بلغه علمي واتسع له فهمي مستعينا بالله عز وجل الذي
بنوره انقشعت الغيوم وانفتحت العلوم وبقدرته بلغ المطلوب
ونيل المروم وراجيا من فضله سبحانه عموم النفع به للخصوص والعموم
وموصلا جزيل المثوبة عليه يوم الوقت المعلوم وسميته تحصيل غرض
القاصد في تفصيل المرض الوافد ومن الله سبحانه نسأل حسن الاقالة
في القول والمقالة لا رب سواه وهو حسبنا ونعم الوكيل المسألة الاولى
في حقيقته

الصفحة الأولى من تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد

لابن خاتمة (مخطوط مكتبة بايزيد بإستانبول)



الصفحة الأولى من وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد

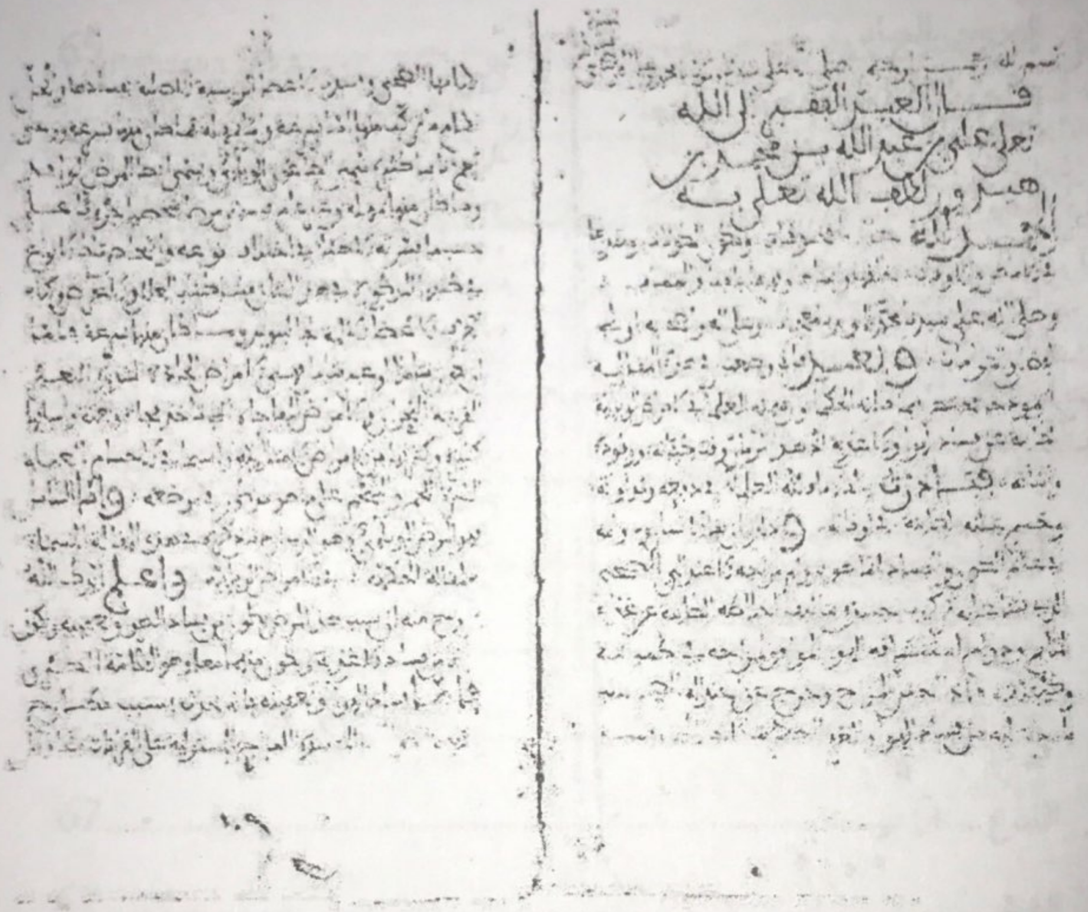
لأبي عمرو بن منظور (مخطوط في خزانة الفقيه محمد المنوني)

23

وامام المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين البررة المنتخبين
واصحابه اجمعين صلاة دائمة وسلاما كريما الى يوم الدين
وسلام على عباده الذين اصطفى

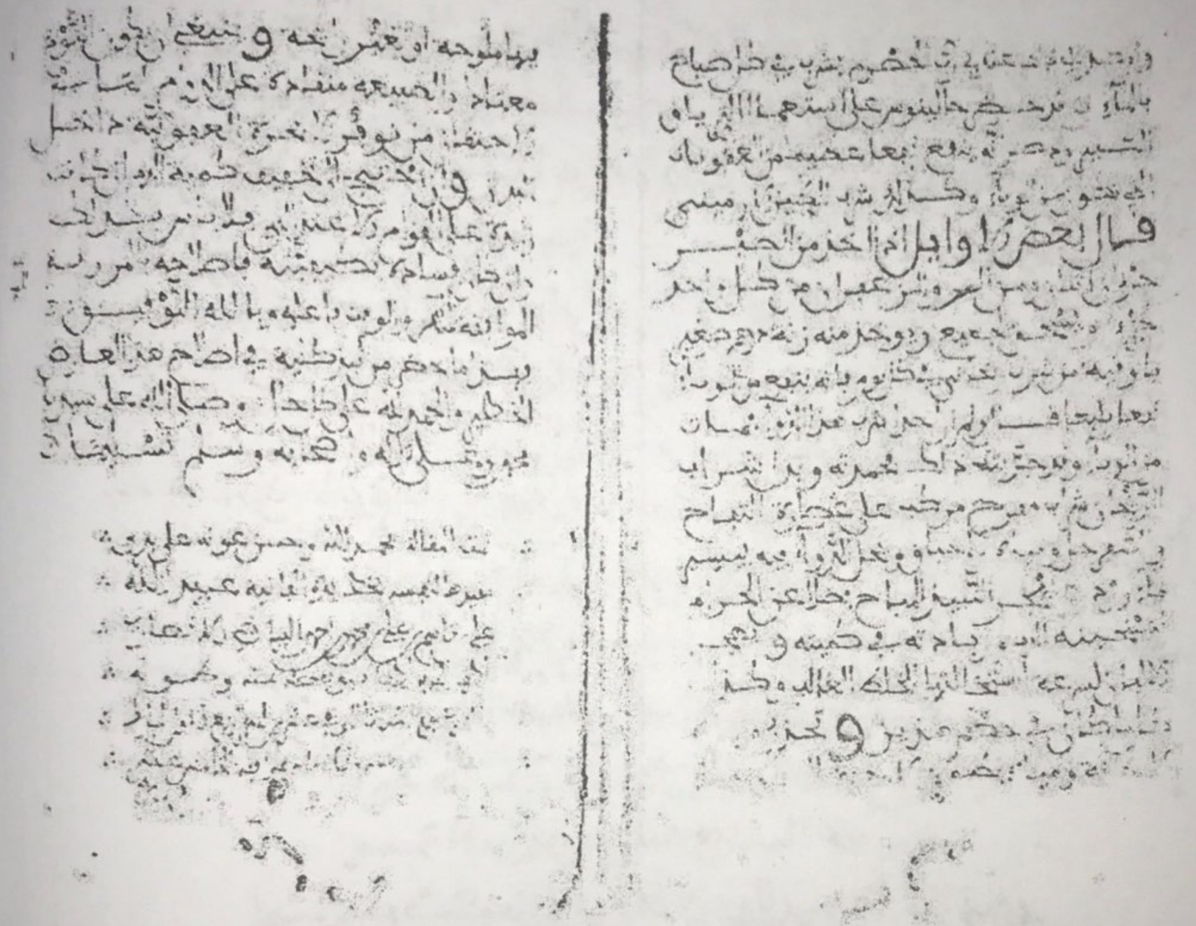
كملت الوصية المباركة والحمد لله تعالى كما يجب
لجلاله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
على يدي مقيدها لنفسه ثم بركة العناية المؤمل له سبحانه
بالواحدانية عبيد الله الضعيف الراجي عفو ربه اللطيف
علي بن قاسم بن علي بن محمد بن احمد البياضي الانصاري غفر الله
ذنوبه وستر في الدارين عيوبه وذلك بمدينة بلش
حرسها الله تعالى بعد الصلاة من يوم الجمعة التاسع لصفر
من عام سبعة وسبعين وثمانمائة عرف الله خيره
وهو ابتداء السابع عشر من يوليه الاعجمي
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد
لأبي عمرو بن منظور (مخطوط في خزانة الفقيه محمد المنوني)


قال العبد الفقير إلى الله
تعالى علي بن عبد الله بن محمد بن
هيدور لطف الله تعالى به

الصفحة الأولى من المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية لابن هيدور

(مخطوط في خزانة الفقيه محمد المنوني)



الصفحة الأخيرة من المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية لابن هيدور

(مخطوط في خزانة الفقيه محمد المنوني)

فهرس المصطلحات الطبية

جريدة المصادر المختارة

1 - المخطوطة:

- تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لأبي جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري من أهل المرية المتوفى سنة 770هـ- مخطوط في مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785 والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط رقم 255 ك.

- تحفة المتوسل وراحة المتأمل لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللّخمي الشُقُوري (كان حيا سنة 776 هـ)، مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 2337.

- تقييد النصيحة لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشُقُوري (كان حيا سنة 776 هـ)- مخطوط في خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني- رحمة الله عليه- بالرباط، ومكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا رقم 1785.

- تكملة الأغراض في مزاولة الأمراض لأبي زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي الأرجدوني المتوفى سنة 753 هـ، مخطوط في خزانة الحاج الهادي السّودي القرشي بفاس.

- المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية لأبي الحسن علي بن عبد الله بن

محمد بن هيدور التادلي المتوفى سنة 816 هـ– مخطوط في خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني– رحمة الله عليه– بالرباط.

- منطق الطير لأبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي حِجْلَة التلمساني المتوفى سنة 776 هـ– مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 1910.

- الوصول لحفظ الصحة في الفصول تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ– مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 77.

- وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد لأبي عمرو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن منظور القيسي المتوفى سنة 888 أو 889 هـ– مخطوط في خزانة الفقيه محمد بن عبد الهادي المنوني– رحمة الله عليه– بالرباط.

المصادر المطبوعة:

- الإحاطة في أخبار غرناطة تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ –الجزء الرابع– تحقيق محمد عبد الله عنان– مكتبة الخانجي القاهرة 1397 هـ–1977– م.

- الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن يوسف العبدري الموَّاق الغرناطي المتوفى سنة 897 هـ وأبي عبد الله محمد بن القاسم بن أبي يحيى بن أبي الفضل بن محمد الأنصاري الرَّصَّاع التونسي المتوفى سنة 894 هـ– تحقيق ودراسة د. محمد حسن– دار المدار الإسلامي بيروت 2007 م.

- أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ – الجزء الأول- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358 هـ- 1939 م.

- تاريخ الأوبئة- د. محمد محمد المفتي- المكتب الوطني للبحث والتطوير- طرابلس 2005م.

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي تحقيق د. عبد الهادي التازي- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الرباط 1414 هـ/ 1997 م.

- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية (دراسة وتراجم ونصوص)- محمد العربي الخطابي- دار الغرب الإسلامي بيروت 1988 م.

- عمل من طَبَّ لمن حَبَّ تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ- تحقيق ماريا كنثيثيون فاثكزبنيتو- جامعة سلمنقة 1972 م.

- فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري – تحقيق د. عبد الله حمادي- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري- الكويت 2004 م.

- لسان الدين بن الخطيب : حياته وتراثه الفكري – محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي- القاهرة 1388 هـ- 1968 م.

- المدن الإسبانية الإسلامية ليوبولد تورِّس بالباس – ترجمة إليو دورو دي لابنيا- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض 1423 هـ- 2003 م.

- المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته (القرنين 8 – 9 هـ/14 – 15 م)- أحمد السعداوي-

Revue IBLA, 19, t, 58, N° 175, p 119-141.

- مفردات ابن الخطيب (قاموس للألفاظ الحضارية من القرن الثامن الهجري) تأليف لسان الدين بن الخطيب – تحقيق ودراسة د. عبد العلي الودغيري- منشورات عكاظ الرباط سنة 1988م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس أحمد بن محمد المقَّرِي التلمساني المتوفى سنة 1041 هـ – الجزء السابع- حققه د. إحسان عباس- دار صادر بيروت 1408هـ – 1988 م.

باللغة الأجنبية :

- Gigandet Suzanne. Trois Maqàlàt au sujet Des épidémies de peste en Andalousie et au Maghreb. Hesperis-tamuda. vol. XXXVII (2000). pp. 81-88.

- Trois Maqalat sur la peste. Hesperis-Tamuda. vol. XL. (2005). pp. 53-92.

- Millàn . A; Christina.. Tres opusculos inéditos sobre la peste en un manuscrito magrebi. Anaquel de Estudios Arabes. III (1992). pp . 183-188.

جريدة المحتويات

Epidemiology :
Lisan Addine Ibn al-Khatib
(d. 776 AH/1374 AD)
" on the plague "
Muqni'at al-Sà'il 'an
Al-marad al-hà'il

Hayat Kara

25 درهم